تاريخ التجارة العربية الإسلامية "بغداد - القاهرة"

The History of Arab-Islamic Trade "Baghdad - Cairo"

ريهام المستادي

ماجستير تاريخ إسلامي

عضو جمعية الآثار والتاريخ الخليجية

جدة - المملكة العربية السعودية

riham_almistadi@hotmail.com

تعريف التجارة

التجارة لغة: عُرفت بأنها مكسبا ، وقيل التجارة باع وشاري ، وقيل أيضا التجارة: تصغير للسوق وسميت بها لأن التجارة تجلب إليها.[١] ومصدرها ت ج ر- (تجر) من باب نصر وكتب (اتجر اتجارا) وجمع (التاجر تجر)(وتجار) بكسر التاء(وتجار) بالضم والتشديد.[٢] تجر: تجر . تجرا وتجارة وتاجر واتجر: تعاطى التجارة. التجارة البيع والشراء لغرض الربح.[٣]

التجارة اصطلاحا كما وردت عند ابن خلدون:(أعلم إن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال ، بشراء السلع بالرخص ، وبيعها بالغلاء ، أيما كانت السلعة من دقيق او زرع أو حيوان أو قماش. وقال بعض الشيوخ ناصحًا ومعرفًا للتجارة في كلمتين ، هي اشتراء الرخيص وبيع الغالي.[٤]

أنواع التجارة

بعد أن شهدت الدولة الإسلامية اتساعًا كبيرًا في أراضيها ، أصبحت الحاجة ماسة إلى العديد من السلع المختلفة نظرًا لاختلاف الشعوب التي تنطوي تحت لواء الدولة الإسلامية. فأصبح هناك نوعان من التجارة تجارة داخلية وأخرى خارجية.[١]

التجارة الداخلية(المحلية):

هي التي تكون داخل الحدود المنطقة الواحد ه أو الإقليم الواحد. وتعتمد في انتقالها على الطرق البرية أو المائية.[٢]

التجارة الخارجية:

على الرغم من اتساع الدولة الإسلامية إلا إنها كانت تفتقد لبعض السلع التي تتوفر في مناطق بعيده ، فكان عليها جلبها من بلادها ، وأهم تلك الأقاليم الخارجية ، الهند والصين وأوروبا وأفريقيا.[٣]

وضع التجارة قبل الإسلام وبعده

قبل التحدث عن تجارة الجزيرة العربية لابد لنا من التعرف على أهمية موقعها. فموقع الجزيرة العربية له أهمية في التاريخ ، حيث نشأت بقربها الحضارات القديمة ، مما جعلها همزة وصل بين جنوب آسيا وشرقيها وبين بلاد البحر المتوسط ،[٤] كما أنها لم تكن مجرد ممرا بحريا ، أو معبرا تجاريا ، بل كانت مركز هام من مراكز التجارة والتسويق في ذلك الوقت.[٥] فقد كانت التجارة عند العرب من المهن الشريفة ، إذ كان الملوك تجارًا يبيعون ويشترون ، كذلك رؤساء العشائر عملوا في التجارة ،[٦] وحوت أرض الجزيرة تهامة ونجد والحجاز والعروض واليمن.[٧]

وكان لأهل اليمن تجارة مزدهرة ، حملوا بها منتجات بلادهم إلى البلاد الأخرى ، فنتج عن ذلك أرباحا كبيرة ، كانت كفيلة بأيقاظ أعين الفرس والروم فزاحموا العرب للوصول إلى منابع التجارة الشرقية دون وساطة.[٨]

في أثناء ذلك ظهرت قبيلة قريش التي سكنت بجوار مكة ، والتي تمكنت فيما بعد من انتزاع الزعامة على مكة من قبيلة خزاعة ، مم ساعدها ذلك من فرض سيطرتها على الطريق التجاري ويسير هذا الطريق من اليمن إلى البحر المتوسط.[٩]

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

ريهام المستادي ، تاريخ التجارة العربية الإسلامية: بغداد - القاهرة.- دورية كان التاريخية.- العدد السادس ؛ ديسمبر ٢٠٠٩.

ص ٧٢ - ٨٧.(www.historicalkan.co.nr)

دور قريش في تجارة العرب

أصل قريش ونسبها:

كانت قريش تدعى النضر بن كنانة ، وكانوا متفرقين حول مكة ،فجمعهم قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك[١٠] . وقيل سميت قريشًا ، تشبيها بدابة من دواب البحر يقال لها القرش تأكل دواب البحر وتقهرهم. وقد يكون السبب بتشبيه قريش بدابة البحر يرجع لانتصار قريش على الخز اعيين وانتزاع زعامة مكة منهم. وقيل أيضا في تسميتها بقريش ، إن قصي بن كلاب لما استولى على البيت قرش(أي جمعهم) بني فهر حول الحرم فقيل لهم قريش[١١] ، وقيل: سُميت قريش من التقرش ، وهو التكسب والتجارة[١٢] .

جمع قصي بن كلاب قريش داخل مكة وجعل منها وحدة قبلية ، ليكون بذلك الأساس المتين للتجارة ووحدة القبائل[١٣] ، وجاء ابنه هاشم بن عبد مناف الذي جعل من مكة مركزًا تجاريًا هامًا بالنسبة للجزيرة العربية[١٤] ، واستطاع أن يحصل على اتفاق من القبائل الواقعة على الطريق التجاري المؤدي لبلاد الشام وبلاد فارس والحبشة واليمن ، على اتفاقيات تبيح له ولقومه المرور بأرض تلك القبائل دون دفع إتاوات ومقابل ذلك تقوم قريش بجلب ما يلزم هذه القبائل من البضائع مثل السيوف ولوازم الخيل[١٥] .

وقد عُرفت هذه الاتفاقيات باسم الإيلاف لقوله تعالى: { إِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)}[١٦] .ويتضح لنا من الآية السابقة ، إن الله من على قريش بنعمة تآلف القلوب بين القبائل من اجل التجارة وامن الطرق من غارات قطاعي الطرق من البدو. وقد استطاعت قريش ربط مصالح الشرق بالغرب عن طريق رحلتي الصيف والشتاء[١٧] .فبرزت أهمية هذه الرحلات بشكل ملحوظ مما جعلها تؤثر في حياة الجزيرة العربية ، فتضخمت ثرواتهم وفتح أمامهم باب للتجارة الخارجية مع بلاد اليمن والحبشة[١٨]

أهمية الحج في حياة العرب الاقتصادية

الحج فرض ديني عُرف منذ القدم ، ولم يكن قاصرًا على أهل مكة ، وإنما كان يأتي إليه من كل فج عميق ، فكان كثيرًا من العرب يفدون إلى مكة للحج وحضور الأسواق ، فيجتمعون ويتعارفون ويتبادلون المنافع من بيع وشراء[١٩] . وهكذا رأينا أن القرشين كانوا مهرة في أمور التجارة ولا يعرف لكثير منهم عمل غير التجارة[٢٠] ، ويرجع ذلك إلى طبيعة بلادهم الصحراوية.

أسواق العرب قبل الإسلام

الأسواق

في اللغة: س و ق-(الساق) ساق القدم والجمع (سوق) مثل أسدٍ وأسدٍ ، و(السوق) يذكر ويؤنث و(تسوق) القوم باعوا واشتروا[٢١] . وفي الاصطلاح: كما عرفها ابن خلدون بقوله:(أعلم أن الأسواق كلها تشمل على حاجات الناس ، فمنها الضروري وهي الأقوات مثل الحنطة...)[٢٢] ، وقد حوت الأسواق الكثير من المخازن لحفظ مختلف أنواع التجارة ، كما وجد بها الخانات التي ينزل بها التجار.

وقد لعبت الأسواق دوراً كبيراً ، في حياة الدولة الإسلامية ، فكانت مركزاً للبيع والشراء ، وعن طريقها تقرر حالة البلاد الاقتصادية ، كما لعبت دوراً اجتماعياً فكانت ملتقى لمئات البشر حيث يتعارفون ويتحابون ، ومن خلالها يتعلمون عادات كثير من الشعوب عن طريق البضائع المختلفة[٢٣] . ولم تكن الأسواق جديدة في الدولة الإسلامية بل عرفها العرب قبل الإسلام ، فكان لهم أسواق شهيرة في الجاهلية مثل سوق عكاظ[٢٤] . ونستطيع أن نصنف الأسواق في بلاد العرب إلى ثلاثة من حيث وظائفها:

١.أسواق خاضعة للنفوذ الأجنبي وتتضاءل فيها الصبغة العربية مثل أسواق البحرين وعمان والحيرة وغيرها والتي كانت خاضعة تحت حكم الفرس ، وهنالك مناطق خاضعة للرومان. وتدار هذه الأسواق بأيدي عربية يعينون عن طريق الفرس والروم.

٢.أسواق انشأ العرب أنفسهم لحاجتهم إليها.

٣.أسواق ذات صبغة مختلطة نظرا لموقعها الجغرافي وتقع على ساحل البحر ، ويجتمع في هذه الأسواق تجار من مختلف الجنسيات[٢٥] .

ومن أشهر الأسواق التي قامت:

سوق دومة الجندل: وهو من أولى الأسواق الكبرى التي كانت تقصدها العرب في منتصف ربيع الأول ، وكان الطريق المؤدي إليها وعر محفوف بالمخاطر ، ولا يحمل القادمين إليها من تحمل المشقة سوى ما يغريهم في هذه السوق من ربح[٢٦] . ومن غرابة هذا السوق ، طريقة البيع فيها ، إذ كان البيع يتم عن طريق الرمي بالحصاة. ذلك بأن يقول أحد المتبايعين للآخر: بعتك من السلع ما تقع عليه حصاتك[٢٧] .

سوق هجر: ويعقد هذا السوق في شهر ربيع الآخر ، ويهبط العرب هذه السوق بعد دومة الجندل ، ويوجد بهذا السوق أصناف التجارات التي تأتي عن طريق تجار الهند وفارس ، واشتهرت الهجر بتمورها التي فاقت شهرتها الآفاق[٢٨] .

سوق عمان: وتقصدها العرب بعدما تنتهي عن الهجر ، ويقام هذا السوق حتى آخر جماد الأولى ، وكان لموقع عمان أهمية ، فكانت تصلها البضائع من فارس والهند والحبشة.

سوق حباشة: ويقام في أول رجب حتى العاشر منه ، وكان يمتاز عن باقي الأسواق بفداء الأسرى[٢٩] .

وهناك أسواق تقام في موسم الحج مثل:

سوق عكاظ: وهي من أشهر أسواق العرب ، وأكثرها تجمعا ، كما أنها عبارة عن معرض لعرض السلع التجارية المختلفة ، كذلك كانت بمثابة مجمع أدبيا ولغويا حيث تضرب القباب فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم[٣٠] . فعن طريق هذا السوق اهتدى العرب إلى تهذيب لغتهم لفظا وأسلوبا ، وكان للعرب في عكاظ ، قضاة للشعر مثل النابغة الذبياني فكان يأتيه الشعراء[٣١] .

سوق مجنة: وهي من الأسواق التي كانت تقام في موسم الحج في العشر الأخير من ذي القعدة ، وأخذت مجنة نظام سوق عكاظ من حيث التجارة والتفاخر إلا أنها لم تكن في مستوى عكا[٣٢] .

سوق ذي المجاز: وسمي بهذا الاسم لأن أجازة الحج كانت منه ، ويقصده العرب بعد مجنة ويقيمون فيه حتى اليوم الثامن من ذي الحجة[٣٣] .

ونجد أن هذه الأسواق الثلاثة تفي بغرض الجميع فالتاجر يجد ضالته والشاعر يجد مكانته بين الشعراء. والغرض عموما من إقامة مثل هذه الأسواق هو التبادل التجاري.

سلع التبادل التجاري

كانت البخور والطيب والعاج والتوابل والجلود التي كانوا يأتون بها من اليمن والطائف[٣٤] . وكان الزيت على رأس السلع التي كان

يشتريها أهل مكة من الشام[٣٥].ويأتي اللبان على رأس قائمة السلع المتبادلة ، باعتباره أفضل أنواع البخور لأن استخدامه كان جزءا من الطقوس الدينية ، واشتهر جنوب الجزيرة بإنتاجه خاصة عمان فكان تجار مكة يصدرونه إلى الصين[٣٦].

أما العنبر الذي يعد من أنواع العطور الممتازة والمرغوبة ، فهو عطر بحري يستخرج من المحيط[٣٧] ، ويأتي التمر من أهم السلع التي تنتجه الجزيرة العربية وتصدره للخارج[٣٨] ، الأحجار الكريمة:مثل الياقوت ويجلب من الصين[٣٩] ، والعقيق من اليمن ، واللؤلؤ من البحرين ، واشتهرت يثرب بصناعة الحلي والمجوهرات[٤٠].

كما عرف العرب الحرير ولاقى رواجًا كبيرًا لديهم ، وفي الدولة الإسلامية فيما بعد ، وكان يجلب من الهند وسيلان والصين وكان الصيني افخر أنواع الحرير ، ويجلب عن طريق الفرس[٤١] . وينتج الحرير من دودة الحرير ، والتي تأتي عن طريق زراعة التوت وتربية دودته. وانتشر هذا النوع من الزراعة في بلاد الصين ثم انتقل إلى أسيا الصغرى ومنها إلى بيزنطة. وبعد الفتوحات الإسلامية في مناطق البحر المتوسط ، انتقلت تربيته دودة الحرير في جميع شواطئ البحر المتوسط ، فأصبح ينتج في سوريا وقبرص وبلاد الأندلس[٤٢].

ونأتي إلى أهم تجارة لدى العرب وهي تجارة الرقيق والتي اعتمدت عليها شبه الجزيرة العربية ، لأنها سلعه نشطة مربحة ، فعرفت بتجارة العبيد باسم "النخاسة" ، فعرف تاجر الرقيق بالنخاس. ونشطت هذه التجارة وراجت ، فكانت مكة والمدينة والطائف ودمشق والقاهرة وبغداد والبصرة والكوفة وسمرقند وبخاري ، وفي الدول المسيحية اشتهرت أسواق القسطنطينية والبندقية ومرسيليا[٤٣].

كان اليهود العارفون بلغات الشرق والغرب ، يجبون البلاد من أجل أسواق الرقيق ، ليشترون الرقيق ويتاجرون به[٤٤]. لم يكن للرقيق سعر ثابت ، إنما يتوقف ذلك على عمر الرق وجنسه ، وما يقوم به من أعمال[٤٥]. ولم يكن العرب أول من عرف هذه التجارة بل سبقهم إليها اليونان والرومان واليهود والفرس. وأول من سخر الشعوب المغلوبة ، واستعبد الأسرى ، واسترق الأحرار هم الرومان[٤٦] ومن ابرز النخاسين ، في الجاهلية عبدالله بن جدعان ، الملقب "حاسي الذهب" ، لأنه يأكل ويشرب في أواني من الذهب ، وهو من أجاود العرب[٤٧]. وقد ظلت هذه التجارة رائجة حتى ظهور الإسلام ، رغم تحريمه للرق وسعيه للقضاء عليه[٤٨]. وعلى الرغم من ذلك إلا أن هذه التجارة قد اتسعت ، لتصبح يثرب مركزًا لتعليم العبيد الغناء والرقص ، ليباعوا بسعر مرتفع ، وانتشر ذلك في العصر العباسي[٤٩].

أهم الطرق التجارية قبل الإسلام وبعده

١.طرق التجارة الداخلية:

طريق من المدينة إلى مكة: ويمر هذا الطريق بالشجرة ، وهو ميقات أهل المدينة ، ثم للسيالة ، ثم الابواء وهي قرية بين المدينة والجحفة ، وهي ميقات لأهل الشام ، ويسرون إلى مكة[٥٠].

طريق من مكة إلى الطائف:ويمر ببئر ابن المرتقع ، ثم إلى قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد ومنة إلى عرافات ، ليصعد عقبة حراء ، ثم يشرف على الطائف[٥١]. ونلاحظ إن هذه الطرق هي ذاتها طرق الحج التي سوف يسلكها المسلمون بعد ذلك.

٢.طرق التجارة الخارجية:

طريق من بلاد الشام إلى مكة: وهو الطريق المعروف بالجادة ، ومراحل هذا الطريق بادئة من دمشق إلى الكسوة ، ثم إلى الجاسم[٥٢].

طريق مكة إلى اليمن: يبدأ من مكة إلى مدينة نجران.ومنها إلى بلاد همدان حتى صنعاء[٥٣].

الطريق البري إلى الهند والصين: يبدأ هذا الطريق من بغداد ويمر شرقا عبر خراسان إلى نيسابور ليصل إلى مرو ومنها إلى بخارى وسمرقند ، ويستمر شرقا إلى طشقند وفر غانة من بلاد الترك إلى أن يصل إلى حدود الصين. ويعرف هذا الطريق بطريق الحرير[٥٤] ، وذلك لشهرته في هذه التجارة[٥٥] ، وزادت أهمية هذا الطريق في عصر الدولة الإسلامية بسبب ربطه بغداد بالهضبة الإيرانية وخراسان وبلاد التركستان[٥٦].

الطريق البحري إلى الهند والصين: كانت تخرج السفن من ميناء البصرة لتصل إلى سيراف[٥٧] على الساحل الإيراني ، وتشتهر بتجارة اللؤلؤ والتوابل ، لتصل السفن إلى ميناء كانتون الصيني[٥٨]

هذا بالإضافة إلى الطرق البرية التي كانت تربط أجزاء غرب العالم الإسلامي ، كالأندلس ، وشمال أفريقيا ومصر ، مع البلاد الحجازية ، واهم محطاتها:آيلة[٥٩] لخليج العقبة ثم يتفرع إلى طريقين أحدهما يسلك الأراضي الداخلية ليصل إلى المدينة المنورة ، والآخر يتجه بمحاذاة الساحل البحر الأحمر حتى ميناء الجار إلى أن يصل جدة[٦٠] ثم مكة ، أو يتجه شرقا من ميناء الجار إلى المدينة[٦١].

وضع التجارة بعد الإسلام

قد رأينا كيف نمت وازدهرت تجارة قريش وأصبحت هي المهيمنة في المنطقة ، وبظهور الإسلام تغير الوضع لنرى كيف ؟ علينا أولا أن نذكر نبذة عن امتهان النبي محمد للتجارة.

نشأ رسول الله يتيما ، فتربى بكنف جده لأبيه عبد المطلب ، ثم تعده عمه أبي طالب بالرعاية بعد وفاة جده[٦٢]. وبحكم معايشة الرسول لمجتمع قريش التجاري عمل مع عمه أبي طالب بالتجارة ، فسافر معه في تجارة إلى الشام عندما التقى الراهب "بحيرا" فحذر عمه آبا طالب من خطر اليهود عليه وذلك عندما رأى علامات النبوة ظاهرة على الطفل محمد[٦٣] ثم سافر ، للمرة الثانية وهو في الخامسة والعشرين من عمره ،عندما اختارته السيدة خديجة بنت خويلد ليسافر بتجارتها للشام مع غلامها ميسرة ، لما سمعته عن صدقه وأمانته ،فادعاها سمو أخلاقه إلى طلب الزواج منه[٦٤]. لكنه آثر ، العزلة وألف العبادة والتأمل على حياة المال[٦٥].

ومن أشهر رجالات قريش الذين عملوا بالتجارة واعتنقوا الإسلام أبي بكر الصديق ؛ فجميعنا يعرف من هو أبي بكر وفضله ومكانته في الإسلام ، فمارس تجارته في الجاهلية وداوم عليها في إسلامه ، واعتق بماله العديد من الصحابة على رأسهم بلال بن رباح[٦٦]. وقال عليه السلام عن مال أبي بكر رضي الله عنه ((ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر))[٦٧].

ولا يقل شأنا عثمان بن عفان الذي جهز جيش العسرة ، فكان رضي الله أيضا تاجرا[٦٨] في هذا الوقت كانت قريش تنعم بخير تجارتها ، وظلت هكذا إلى أن هاجر رسول الله ، للمدينة ،وأسس دولة أسلامية قوية ،وهنا بدأت قريش تخشى على مصالحها التجارية المتجهة إلى شمال الجزيرة العربية ،لان المسلمين اخذوا يرصدون العيون من

اجل التعرض لقوافل قريش[٦٩].فأصبحت في موقف لا تحسد عليه مما نجم عن ذلك غزوات كثيرة منها بدر وأحد.

وكان لذلك أثره في ازدهار تجارة المدينة المنورة[٧٠]،فنشطت أسواقها الداخلية وأهمها سوق بني قينقاع لبيع الحلي ، ومن اسمه نستدل على أن منشئيه اليهود. ثم سوق زبالة ، والذي أصبح له شأنا بعدما اتخذه المسلمون سوقا لهم بعدما فسدت العلاقات بينهم وبين اليهود[٧١]. وهكذا أصبح للمسلمين أسواقا يعرضون فيها منتجاتهم.فعمل رسول الله ،على تنظيم أمور السوق وتعامل الناس في البيع والشراء.

ونورد بعض من أحاديث المصطفى ، وهي كفيلة كي توضح لنا التنظيم الإسلامي الرائع في وضع قواعد البيع والشراء ، والتي تحاول اليوم تطبيقه الأمم المتطورة. قال صلى الله عليه وسلم:(الحلف منفقة للسلعة ،ممحقة للبركة). وقوله عليه أفضل الصلوات واجلها(ولا يبيع بعضكم على بيع بعض)، أي أنه محرم على المسلم إذا رأى مسلم يبيع سلعة أن يسارع فيعرض عليه نفس تلك السلعة[٧٢].

والتاجر المسلم عليه أن يذكر الله في عمله كي تقي الشبهات ويبعد نفسه عن المعاملات المحرمة. وقد حرص الإسلام على ضبط المعاملات المالية بين المسلمين ، وقرر مبدأ كتابة العقود ، وان يبرموا ما شاءوا من الشروط.[٧٣]

وبهذه النظم بدأت تظهر تجارة المسلمين شيئاً فشيئاً ، وانتعش الاقتصاد الإسلامي للمسلمين بعد غزوة خيبر والقضاء على اليهود ، لأنهم كانوا المسيطرين على تجارة المدينة[٧٤]. وهكذا ظلت حركة التجارة نشطة بأيدي المسلمين ، حتى قيام الدولة الأموية والتي لم تهتم كثير بالتجارة وحركة سير القوافل ، بقدر ما اهتمت بترسيخ دعائم دولتها ونقل العاصمة إلى دمشق. لتأتي بعد ذلك الدولة العباسية ، لتحظى التجارة باهتمام الخلفاء من إنشاء مدن وموانئ تجارية.

العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة

لم تتطور التجارة وترتقي دون أن يكون هناك عوامل ساعدت على ذلك:

١- اهتمام الإسلام بالبيع والشراء ، وما يتبع ذلك من أحكام وآداب ، و حرصه على استثمار الأموال بالطرق المشروعة ، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالتجارة.[٧٥]

٢- يعد الحج من أهم العوامل التي ساهمت في ازدهار التجارة ، لقدوم الحجيج من شتى بقاع الأرض محملين بمختلف البضائع التي جلبوها معهم من بلادهم فيتلاقوا مع بعضهم البعض ويتبادلوا السلع التجارية والثقافية التي تثري حصيلتهم العقلية واللغوية.

٣- تشجيع الخلفاء للتجارة بإقامة الأسواق ، وإنشاء الطرق وتوفير الأمن من خلال المسير عبرها[٧٦].

٤- أما العامل الرابع الذي أراه من-وجهة نظري-قد يكون سبباً من الأسباب التي جعلت تجارة المسلمين تزدهر وذلك عن طريق التجار الذين يجيبون البلاد بغرض تبادل السلع في بعض البلاد البعيدة التي لم يسبق للجيوش الإسلامية أن فتحتها ، فانتشر الإسلام عن طريق هؤلاء ، مثل إندونيسيا وماليزيا وبعض جزر الهند الشرقية.

٥- كان للصناعة دور كبير في ازدهار التجارة ، فقد فتحت بعض الصناعات وقويت مثل صناعة السفن ، والتي عن طريقها تمكن المسلمون ولعدة قرون من السيطرة على البحر المتوسط[٧٧]

٦- ولأتساع رقعة البلاد الإسلامية ودخول شعوب تلك البلاد تحت لواء الدولة الإسلامية أثر كبير في زيادة نشاط الحركة التجارية[٧٨]، فمن الطبيعي أن عدد السكان سوف يزيد وبالتالي متطلباتهم تكثر ، هذا فضلاً عن ما وجد عندهم من سلع ومنتجات أدخلوها على الدولة الإسلامية نتيجة الاحتكاك.

٧- للنقد والعملات الإسلامية والتنظيم المالي الذي عرفه المسلمون دوراً في تسهيل التعامل التجاري بين الدول[٧٩].

٨- معرفة العرب بالطرق وأيسر المسالك ، فبرع الأدلاء الذين تخصصوا في إرشاد قوافل التجارة عبر دروب السهول والجبال ، ولما كانت معظم أسفارهم بالليل قد تدربوا على الاهتداء بالقمر والنجوم وساعدهم على ذلك صفاء سمائهم[٨٠].

٩- ساعدت طرق البريد على ازدهار التجارة ، ذلك لأن القوافل التجارية كانت تسلك نفس طرق البريد[٨١].

١٠- اهتم المسلمون بالطرق كوسيلة للمواصلات ونقل السلع وذلك عن طريق تزويدها بالخانات والاستراحات التي ينزل فيها التجار ، بالإضافة إلى توفير المياه بحفر الآبار والعيون[٨٢].

١١- إسهامات الرحالة الجغرافيين في وصفهم لطرق التجارة وبضائعها[٨٣].

١٢- وقد ساعد العامل الجغرافي على أن يكون موقع الحجاز بين الشام واليمن بكونه ممراً واستراحة للقوافل و لقيام المدن التجارية[٨٤].

١٣- أيقظت الحروب الصليبية العالم الغربي من سباته ، بسبب اتصالها ببلاد المشرق مما ساعد على نشاط التجارة بين الشرق والغرب ، لتصبح مصر وسوريا سوقاً تجارية بين الشرق والغرب ، كما ساعدت هذه الحروب على ظهور المدن التجارية في أوربا مثل البندقية وجنوة[٨٥].

١٤- اهتمام العرب بوضع الإشارات والعلامات التي تحدد الأطوال على الطرق[٨٦].

١٥- كان لاختراع البوصلة التي تهتدي بها السفن لتبحر في البحار والمحيطات أثر كبير في التبادل التجاري ، واتساع نطاق الملاحة البحرية.

١٦- لولا توفر المواصلات وسهولة استخدامها ، واتصالها بأجزاء الدولة والدول المجاورة لما نمت العلاقات الاقتصادية ، وحدث تبادل للسلع التجارية.

١٧- كان لارتفاع مستوى المعيشة وحياة الرخاء والبذخ والترف وكثرة الأموال ، دوراً في زيادة الطلب على السلع التجارية.

١٨- نشوء الدويلات المستقلة وسعي كل منها إلى التشبه بالدولة الأم.

١٩- لعبت السفارات بين الدول وخاصة السفارات الدبلوماسية على ازدياد التبادل التجاري بينها[٨٧].

٢٠- كان لاحتكاك العرب المسلمون بغيرهم من الحضارات دوراً هاماً في ازدهار التجارة والتعرف على سلع جديدة.

٢١- وأخيراً ولولا ما تمتع به العالم الإسلامي من أمن واستقرار لما استطاعت القوافل أن تعبر الطرق ليلاً أمنة مطمئنة على بضائعها.

بناء مدينة بغداد

بعد أن تولى الخليفة المنصور بنى في نواحي الكوفة مدينة سماها "الهاشمية" حيث وقعة فيها وقعة الراوندية [٨٨]، فكره سكانها وأصبح لا يأمنهم على نفسه، فخرج بنفسه يرتاد موضعاً أخر كي يبني فيه مدينه يسكنها هو وجنده [٨٩]، فبات ليلة في موضع القصر فطاب له المبيت، فقال: هاهنا ابنوا، فإنه طيب، فخط بغداد، وطلب أن يحضروا له الصناع والمهندسين والحكماء والعلماء، فرسمت له بالرماد، واختطط فيها أسواقها وأبوابها وأسوارها، وكانت بغداد مزرعة لستين شخص، عوضهم المنصور عنها ورضاهم. وقيل انه ليس في الدنيا مدينة مدورة سواها [٩٠]، كما ذكر أن بغداد قديمة فعمرها المنصور، وبنى بها مدينته عام ١٤٥هـ، ثم حول بيوت الأموال والخزائن والدواوين من الكوفة إليها وسماها مدينة السلام [٩١].

وتعددت الأقاويل في وصف بغداد ومنها ما ورد في البداية والنهاية: قال يونس بن عبد الله الأعلى الصدفي، قال لي الشافعي: رأيت بغداد، فقلت لا، قال: ما رأيت الدنيا، وقال الشافعي: ما دخلت بلداً قط إلا عددته سفراً، إلا بغداد حين دخلتها عددتها وطنا. وقال بعضهم: الدنيا بادية وبغداد حاضرتها [٩٢]. ولموقع بغداد أهمية بالنسبة للملاحة البحرية، فهي تقع على ثلاثة طرق منها طريقان يمتدان في اليابسة، وطرق تؤدي إلى الشمال في أعالي دجلة إلى الموصل والى أرمينيا، والى الشمال الغربي بواسطة نهر عيسى الذي يعتبر ملتقى للتيارات البحرية بين أعالي الفرات وأسفل دجلة [٩٣]، وهكذا أصبحت بغداد ملتقى التجارات وسوقها الأعظم، الذي تحمل إليه البضائع وتوزع إلى مختلف البلدان، فعاد ذلك على العراق بالتطور والنماء فأصبحت بلداً تجارياً به أهم الأسواق ومراكز التجارة.

الأوضاع الداخلية للبلاد:

تمتعت تجارة العراق خلال العصر العباسي باهتمام بالغ من قبل الخلفاء، نجم عن ازدهار العصر وتطوره في جميع النواحي. وإذ أردنا التعرف على وضع المجتمع العباسي لوجدناه يتكون من طبقتان أحداهما: خاصة، والأخرى عامة، وتضم الخاصة: الخلفاء والأمراء وكبار الدولة كالوزراء والحجاب والقضاة [٩٤]. أما الطبقة العامة فتضم عامة الشعب، وتشمل على طبقتان، طبقة وسطى تحظى باحترام وتقدير الخاصة والعامة على سواء، وطبقة دنيا، منهم الزراع والصناع والعيارون والباعة والخدم والتجار الذين أصبح لهم مركزا مرموقا [٩٥].

بالإضافة لطبقة الرقيق الذين كثروا في هذا العصر، وامتلأت القصور بهم، ليصبح لهم أثرا في الحياة الاجتماعية، فكثر نسل الجواري واختلطت الدماء حتى الخلفاء أنفسهم كانوا من نسل السراري [٩٦] بسبب انتشار هذه التجارة، ففي بغداد شارع يسمى "شارع الرقيق" [٩٧]. ويتبين لنا إن المجتمع العباسي كان غارقا في حياة اللهو والترف، وخير ما يصور وضع المجتمع في ذلك الوقت قصص "ألف ليلة وليلة" فقد حكت لنا كيف يعيش الناس، ووصفت بدقة الملابس والمأكل، وأوضحت كيف تعيش كل طبقة، وخاصة طبقة التجار. أما من الناحية السياسية؛ فإن أهم مظهر يأخذ بالأبصار في ذلك العصر ما حصل للدولة الإسلامية من الانقسام، بعض من بلاد المغرب، الأندلس، ورغم ذلك بقيت الخلافة قوية في بغداد، ثم أخذت هذه القوة تتلاشى شيئا فشيئاً، إلى أن أصبحت الدولة الإسلامية عبارة عن دول مستقلة [٩٨].

أهم الأسواق ومراكز التجارة في العراق

أسواق الجانب الغربي:

عندما بنى الخليفة أبو جعفر المنصور مدينة بغداد، جعل الأسواق داخلها، وظلت على حالها حتى أمر بنقلها الى خارج المدينة، وقيل أن السبب في نقل الأسواق خارج بغداد أن بطريقاً من الروم قدم الى المنصور وطلب منه أن يطوف به، فسأله المنصور: كيف رأيت مدينتي، فأجاب البطريق: رأيت بناء حسناً، إلا اني قد رأيت أعداءك معك في مدينتك، قال المنصور: من هم، فقال البطريق: السوقه.

وهكذا نقلت الأسواق إلى الكرخ [٩٩]، فأصبحت بعد ذلك السوق العظمى، فنظمت الأسواق فأصبح لكل تجارة شوارع معلومة من أجل أن لا يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة أخرى [١٠٠]، فكان لكل طائفة من التجار أسواق خاصة بهم فمثلاً كان هناك سوق النخاسين وسوق الوراقين وسوق البزازين (تجار الأقمشة) [١٠١]. وعلى جانبي الكرخ وجدت أسواق مهمة مثل "سوق دار البطيخ"، وكما هو واضح من هذا الاسم الذي يدل على ما يحتويه هذا السوق، فهو سوق خاص لبيع الفواكه [١٠٢].

أسواق الجانب الشرقي

أهما سوق الرصافة وهو سوق عظيم لمختلف أنواع البضائع، كذلك سوق خضير والذي يحتوي على السلع النادرة مثل فرو النمور والثعالب والشمع والسهام رقيق الصقالية [١٠٣] ويباع فيه كل ما هو عجيب وطريف جلب من بلاد الصين [١٠٤]. كما وجد العديد من الأسواق في عدد من مدن العراق الأخرى، وسوف أذكر أهمها والتي كان لها دور بارز في التجارة وتبادل السلع مع غيرها من البلاد.

البصرة

مدينة عظيمة لم تكن موجودة في أيام العجم، اختطها المسلمون أيام عمر بن الخطاب بعد عمليات الفتح الإسلامي سنة ١٣هـ [١٠٥]. وأصبح لها نشاطها التجاري في القرنين الأول والثاني، هذا بالإضافة إلى أنها غدت مركزاً هاماً في تجارة الخليج العربي [١٠٦]. وقد أقيمت في مدينة البصرة عدة أسواق لبيع ما يرد إليها من مختلف البضائع والسلع، وقيل في وصفها: (كانت مدينة الدنيا ومعدن تجارتها) [١٠٧]، وبها ثلاثة أسواق عظيمة فيها العديد من الحوانيت والمخازن، وهي سوق الكلأ، والسوق الكبير، وسوق باب الجامع [١٠٨]، وسرت التجارة في الأسواق طيلة النهار، وتعقد الأسواق في ثلاثة جهات في الصباح كان التبادل التجاري يتم في سوق خزاعة، وفي الظهر سوق عثمان وفي المغرب سوق القداحين [١٠٩].

سوق المربد

وكان لهذا السوق أهمية، فكان في بادئ أمره قبل الإسلام سوقاً للجمال وأصبح بعد ذلك في العصر الإسلامي سوقاً للبدو تباع فيه التمور والأسلحة وغنائم الحرب ومع مرور الوقت زادت أهميته فأصبح مركزاً لتجارة البدو والحضر، كما كان سوقاً أدبياً يقصده الشعراء أمثال الفرزدق وجرير [١١٠].

الموصل

كانت مركزاً للتجارة وملتقى للطرق التجارية القادمة من أذربيجان والشام وأرمينية وجنوب العراق مما جعلها تحوي العديد من البضائع المختلفة المنشأ، فأدى ذلك إلى قيام أسواق لتعريف السلع، ومن الأسواق التي قامت فيها سوق الطعام، وسوق الأساكفه، سوق الغنم،

ومن مبلغ ما وصل إليه نشاط الحركة التجارية في الموصل ، بلغ ما يجبى من أسواقها (١٠,٠٠٠) درهم في اليوم الواحد.[١١١]

الكوفة

مدينة قريبة من البصرة في الكبر ، وماؤها أعذب من ماء البصرة وهي تقع على الفرات وكانت مسكناً لقبائل العرب.[١١٢] وقد أصبحت الكوفة بعد تأسيسها مركزاً تجارياً هاما ، وأنشئت فيها المخازن التجارية ومن أهمها "دار الرزق" ، الذي يقع عند الجسر المنصوب على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، وكان الغرض منه حفظ أموال الصدقات والغنائم قبل توزيعها ، وتطور هذا المخزن ليصبح مركزاً تجارياً هاماً في الكوفة.[١١٣] وإلى جانب المخازن وجدت الأسواق ومن أشهرها سوق الصيارفة ، الذي لعب دوراً هاماً في الحياة السياسية في العراق ، فقد استعان خلفاء بني العباس بأهل هذا السوق من الصيارفة في التجسس ونقل الأخبار إليهم.[١١٤]

أهم الطرق التجارية للعراق

بلد كبير مثل العراق ، لا بد له بأن يرتبط بشبكة منسقة من الطرق التجارية البرية والبحرية والتي تربط أجزاء البلاد ببعضها البعض ، هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبته الأنهار في حركة التنقلات الداخلية والخارجية.

أولاً: سلسلة الطرق البرية الخارجية

(١) واهم الطرق ما يربط بغداد بأواسط أسيا الصين ، فيمر هذا الطريق بعدة مناطق منها حلوان[١١٥] ، وخراسان[١١٦] . (٢) وطريق من الكوفة إلى دمشق[١١٧] .(٣) وطريق من البصرة إلى مكة[١١٨] .

ثانياً: طرق التجارة البرية الداخلية

(١) طريق من بغداد إلى واسط ثم ينتهي بالبصرة ، ويحاذي نهر دجلة بالإضافة إلى مروره بنهري أبي الأسد ونهر ابن عمر. (٢) طريق يخرج من بغداد ماراً بالبردان[١١٩] وغيرها من المناطق إلى الموصل[١٢٠] . طريق يربط بغداد بمنطقة الرقة ويقطع نهر الفرات[١٢١] ، بالإضافة إلى طرق أخرى منها من بغداد إلى سامراء ، ومن الكوفة إلى واسط عن طريق البطائح[١٢٢] .

طرق التجارة البحرية

ونبدأ حديثنا بنبذة عن أهم الأنهار التي تعبرها السفن التجارية ، حيث يوجد في العراق نهران عظيمان ساعدا على قيام الملاحة النهرية ، وتسيير حركة السفن داخل البلاد ، هذا بالإضافة الى الأنهار الأخرى الصغيرة والمتفرعة من هذين النهرين وهما نهر دجلة ونهر الفرات.

أ-نهر دجلة

يعتبر من أهم طرق المواصلات النهرية ، فكانت تسير فيه سفن الملاحة من بغداد للخليج العربي بكل سهولة ويسر نظراً لاتساع مجراه[١٢٣] ، بالإضافة إلى استخدامه في إدارة الطواحين التي في وسط النهر[١٢٤] ، وقيل انه سمي بنهر السلام وأخذت بغداد اسمها منه ، فسميت دار السلام[١٢٥] .

ب-نهر الفرات

وهو الممر الثاني للملاحة النهرية في العراق ، ويعد أفضل الأنهار ملائمة للملاحة ، وذلك لأن مستوى هذا النهر أعلى قليلاً من نهر دجلة ، مما يسهل سير السفن[١٢٦] ، كما ينقل عبره التجار بضائعهم مابين بلاد الشام وبغداد[١٢٧] ، بالإضافة إلى كونه حلقة اتصال بمصر ومنها إلى شمال أفريقيه[١٢٨] . ولا نستطيع أن نغفل عن فضل هذا النهر العظيم لكونه أحد انهار الجنة[١٢٩] ، كما لعب نهر العيسى الأعظم والذي يتفرع من الفرات دوراً أساسياً في حمل البضائع وخاصة الدقيق من الشام ومصر[١٣٠] .

طريق تجارة الهند والصين:

كان هذا الطريق يبدأ من البصرة حتى سيلان وجاوة ثم الصين[١٣١] .

تاريخ تجارة القاهرة

الدولة الطولونية والإخشيدية

ظلت مصر بعد قيام الدولة الأموية في حالة ضعف وجمود في جميع نواحي الحياة ، عدا في فترات قليلة عمل فيها ولاة هذه البلاد على تقدمها ورقيها. وقد أهملتها الخلافة العباسية ، وانتعشت مصر منذ قيام الدولة الطولونية التي استقلت بحكمها استقلالاً يكاد يكون تاماً ، وسارت في طريق التقدم والإصلاح على يد أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية بمصر.[١٣٢]

وقف ابن طولون على موارد الدولة المختلفة وعرف كيف يستغلها لصالح دولته دون أن يرهق الناس بالمكوس والضرائب وعمل على ترفهم ونشر العدل بينهم ، فاستتب الأمن واستقرت الأمور ، وشمل البلاد الرخاء في عهده ، حتى بيع عشرة ارداب من القمح بدينار واحد. وظلت حالة البلاد هكذا حتى وفاته ، وتولى من بعده ابنه خمارويه[١٣٣] . وبعد وفاة ابنه بدأت الدولة الطولونية في الانحلال والضعف إلى أن سقطت على أيدي الإخشيد الذين كونوا دولتهم بزعامة كافور الإخشيدي الذي حرص على الاهتمام[١٣٤] بالبلاد في النواحي الحضارية والاقتصادية كما كانت عليه البلاد في العهد الطولوني ، فتحسنت أوضاع البلاد في عهدة فنهضت نهضة قوية بعد أن ساءت أحوال البلاد الداخلية وانتشرت المجاعات[١٣٥] .

قيام دولة الفاطميين وتجارتهم في مصر

الأوضاع السياسية في البلاد وبناء مدينة القاهرة

بعد وفاة كافور الإخشيدي اضطربت الأحوال في البلاد ولم يبقى بمصر من تجتمع القلوب عليه ، فأصابهم غلاء شديد أضعفهم وأرهقهم[١٣٦] ، هذا إلى جانب ضعف بغداد في الدفاع عنها ، لانشغالها بصد غارات البيزنطيين[١٣٧] . فانتهز الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ذلك فقام بإعداد حملة لفتح مصر بقيادة جوهر الصقلي ، الذي رحل من القيروان في ربيع الثاني سنة ٣٥٨هـ[١٣٨] ، فوصل إلى برقة ومنها إلى الإسكندرية ثم إلى الفسطاط فأعلن فيها خطاب الأمان للمصريين ، وهكذا بدأ حكم الفاطميين لمصر[١٣٩] ، فدخلوها بلا طعنة ولا ضربة ، فاستقرت أيدي الفاطميين على البلاد ، فشرع جوهر في بناء مدينة جديدة تصبح مقرًا للخلافة الفاطمية ومركز انتشار دعوته فقام ببناء القاهرة المعزية[١٤٠] ، وذلك لأنه عندما قدم بصحبة الكثير من عساكره وجد أن المكان قد ضاق بهم فاختط سور القاهرة وحفر أساس القصر بالليل ، وأدخل فيه "دير العظام" ، كما اختط لكل قبيلة مكان يختص بها مثل قبيلة زويلة قامت ببناء الحارة المعروفة بها ، واختطت جماعة من أهل برقة الحارة البرقية وهكذا[١٤١] .

وجعل للقاهرة سوراً دائرياً عليها حوى أربعة أبواب من الجهات الأربعة ، ففي الجهة القبلية بابان متجاوران يقال لهما باب زويلة وباب القدس ، وباب النصر وباب الفتوح[١٤٢] كما حوى سور القاهرة قصرين

أحدهما يعرف بالقصر الكبير ، وهو منزل سكن الخليفة ومحل حرمه ، ومكان لاستقبال العساكر ، كما حوى الدواوين وبيت المال ، وخزائن السلاح[١٤٣] ، أما القصر الأخر فيعرف بالقصر الصغير الغربي ، وبه المارستان الكبير المنصوري ، وبين هذا القصر والقصر الكبير الشرقي فضاء متسع يقف فيه عشرة الآف من العساكر مابين فارس وراجل يقال له بين القصرين[١٤٤] .

كانت القاهرة في بداية أمرها تسمى المنصورية ، وعندما قدم الخليفة المعز من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة وقيل السبب في ذلك أنه عندما أراد القائد جوهر بناء سور القاهرة جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعاً لحفر الأساس وطالعاً لرمي حجارته ، فجعلوا قوائم من الخشب ، وبين القائم والقائم حبل فيه أجراس وطلب من البنائين عند سماع صوت الأجراس أن يرموا ما بأيديهم من اللبن والحجارة ، لكنه صادف أن وقف غراب على الحبل فتحركت الأجراس فظن البنائين أن المنجمين من قاموا بتحريك الأجراس ، فصاح المنجمون عند ذلك: لا لا ، القاهر في الطالع.

والقول الثاني في تسمية القاهرة ، أن المعز أراد أن يختار طالعاً لا يخرج البلد عن نسلهم أبداً ، (فوقع أن المريخ كان في الطالع ، وهو يسمى عند المنجمين القاهر ، فحكموا لذلك أن القاهرة كانت لا تزال تحت حكم الأتراك ، وأنهم لا بد أن يملكوا هذه البلاد)[١٤٥] . كما ورد قول آخر في تسميتها بالقاهرة ، بأنها تقهر من شذ عنها ، ورام مخالفة أميرها[١٤٦] .

وهكذا لاح في الوجود ظهور مدينة جديدة قاهرة لعدوها ، زاهرة بعمائرها لتكون القاهرة المعزية ، تلك المدينة التي بناها جوهر الصقلي لمولاه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وتصبح مدينة خاصة لسكن الخليفة وحاضنة لمركز هام للصناعات ، وساعد على ذلك حياة الترف وابذخ التي سادت المجتمع فكان لها تأثير في تنوع المنتجات الصناعية لسد حاجات الخلفاء وكبار رجال الدولة ، وتظافرت هذة العوامل لتجعل من القاهرة مركزاً للصناعة والتجارة ، والجدير بالذكر قبل متابعة الخوض في تفاصيل أهمية القاهرة التجارية أن نستعرض مركزا تجارياً هاماً نشأ قبلها وهو "الفسطاط".

الفسطاط

كانت من أهم المراكز التجارية لموقعها الفريد على النيل وتوسطها بين الوجهين القبلي والبحري واتصالها بكافة البلاد المصرية عن طريق النيل ، هذا فضلاً عن الطرق البرية التي تسلكها القوافل وهي متجهة نحو الحجاز وبلاد الشام والمغرب[١٤٧] . وللفسطاط أهمية عظمى منذ أن فتحها المسلمون ، فكانت مجمعاً للدواوين ومحوى لأمير المؤمنين ، وفاصلاً بين ديار العرب وديار المغرب[١٤٨] . وقيل في تسميتها أن عمر بن العاص عندما فتح مصر وأراد المسير إلى الإسكندرية أمر بالفسطاط أن يحط ويسار به فنزلت حمامه في أعلاه وباضت بيضة ، فأمر عمرو أن يترك الفسطاط على حاله حتى تفقس البيضة ويخرج فرخها[١٤٩] .

وقد وصفها المقدسي فقال: (فهو مصر مصر ، وناسخ بغداد ، ومفخر الإسلام ، ومتجر الأنام ، وأجمل من مدينة السلام ، خزانة المغرب ، ومطرح المشرق ، عامر الموسم ، ليس في الأمصار أهل منه ، كثير الآجلة والمشايخ ، عجيب المتاجر والخصائص ، حسن الأسواق والمعايش.....)[١٥٠] .وظلت الفسطاط عامرة بالتجارة وافرة بعدد أسواقها الذي بلغ مائة سوق ، فساعد ذلك على أن ترد إليها مختلف أصناف التجارة وتنوع سلعها.

ما لبثت أن أصبحت القاهرة مركزاً هاماً للصناعات ، فقد ولدت بها عدة صناعات ساهمت في إقامة أسواق كبرى ، ومن أهم الصناعات التي اشتهرت بها القاهرة صناعة المنسوجات فأصبحت الأقمشة الكتانية والحريرية في غاية الدقة[١٥١] ومن أقدم المنسوجات الفاطمية التي عثر عليها قطعة من نسيج الكتان نقش عليها اسم الخليفة الفاطمي الظاهر وحفظت هذه القطعة في متحف "المتروبولستان"[١٥٢] .

كذلك صناعة الخشب فقد كانت الحاجة ماسة إليه لبناء المنازل في المدن ، وصنع رافعات الماء ، هذا بالإضافة إلى أهميته في صنع الأساطيل الحربية والتجارية التي تزداد الحاجة إليها باتساع نطاق التبادل التجاري[١٥٣] ، وكان للقبط مهارة فائقة منذ القدم في التجارة وصناعة الخشب ونقشه[١٥٤] .

كذلك كانت صناعة الخزف الملون والمزرقش برسومات الطيور والحيوانات التي تميز العصر الفاطمي[١٥٥] ، وبذل الصناع في صناعة هذا النوع جهداً كبيراً لإتقانه وإخراجه بدقة[١٥٦] ، بخلاف الصناعات التي نشأت وازدهرت في هذا العصر ، مما أدى إلى قيام أسواق عديدة لبيع منتجات الصناعة والإنتاج الزراعي وتبادل السلع القادمة من خارج البلاد ، حيث أقيمت أسواق مخصصة للاتجار بسلع معينة مما أدى إلى تسميتها باسم تلك السلع ، بالإضافة إلى وجود الأسواق الشاملة التي شملت عدداً كبيراً من السلع والمنتجات ولم تختص بسلعة معينة[١٥٧] . ونجد أن المقريزي كان أفضل من كتب عن الأسواق بشيء من التفصيل.

أهم الأسواق في العصر الفاطمي

من السواق المشهورة في القاهرة في العصر الفاطمي "سوق القصبة" والمقصود بها قصبة القاهرة أو الشارع الأعظم الذي يشق العاصمة من باب زويلة إلى ميدان بين القصرين[١٥٨] ، وتحتوي هذه القصبة على اثني عشر ألف حانوتاً عامرة التي تحتوي على مختلف المآكل والمشارب والأمتعة. وكان أهل مصر يفاخرون بأنهم يلقون في كل يوم ألف دينار ذهب في المزابل ، ويعنون بذلك ما يستعمله اللبانون والجبانون والطباخون وغيرها من الأواني المصنوعة من الفخار والقراطيس التي تحوي بضائعهم والتي يأكل منها عامة الناس في السوق[١٥٩] .

ومن أهم أسواق القاهرة "سوق باب الفتوح" وهو من أجل وأعظم الأسواق وأعمرها. ، كان الناس يقصدونه من مختلف أقطار البلاد من أجل شراء لحم الضأن والبقر والماعز ، وشراء الخضروات. ومن الأسواق الأخرى أيضاً ؛ "سوق الرواسين" سمي بذلك لأنه يطبخ فيه الرؤوس المفمومة ، وكان من أحسن أسواق القاهرة به العديد من البياعين ، ويحوي على نحو عشرين حانوتاً مملؤة بأصناف المآكل ، لكن هذا السوق تلاشى فيما بعد[١٦٠] .

"سوق حارة برجوان" وهو من الأسواق القديمة ، وعرف في أيام الدولة الفاطمية بسوق أمير الجيوش وذلك لأن بدر الجمالي-أمير الجيوش- عندما قدم من مصر زمن الخليفة المستنصر بنى داره في حارة برجوان ، ويباع في هذا السوق اللحوم بمختلف أنواعها الضأني السيخ والسميط البقري ، وبه حوانيت لبيع الزيت والجبن والخضرة ،

أي أنه يجمع كل ما يحتاجه المرء فهو سوق شامل. "سوق الشماعين" ونجد أن أسمه يدل على ما يباع فيه من الشمع ، وموسم بيع الشمع في رمضان ، لكثرة استخدامه في هذا الشهر الكريم. "سوق الدجاجين" وكانت تباع الطيور بجميع أنواعها من الدجاج والأوز والعصافير وطيور السمان والحمام وغيرها من أنواع الطيور[١٦١].

"سويقة الصاحب" وتعرف ايضاً بـ "سويقة الوزير" ويعني أبا الفرج يعقوب ابن كلس وزير الخليفة العزيز بالله ، ثم صارت فيما بعد تعرف بـ "سويقة دار الديباج" لان بها دار الطراز وينسج فيها الديباج والحرير[١٦٢]. ومن الاسواق المشهورة أيضاً "سوق الرقيق" وخص لبيع الجواري والغلمان ، وافرد لكل منهم يوماً ، وأمر الحاكم بأمر الله أن لا يدخل احداً إلى هذا السوق إلا أن يكون بائعاً أو مشترياً. ومن الأسواق التي عرفت في ذلك الوقت "سوق التفاح" لبيع التفاح والفواكه وغيرها[١٦٣].

المراكز التجارية في العصر الفاطمي

لم تكن الأسواق منتشرة في القاهرة وحدها ، بل في جميع مدن مصر وقراها وذلك لكثافة مصر السكانية وتنوع صناعاتها ومحاصيلها الزراعية مما جعلها تنشط تجارياً وأقيمت بها مراكز تجارية أخرى أهمها:

"الإسكندرية"

والتي كان لها دوراً مميزاً في حركة التجارة الداخلية والخارجية ، وحوت أسواقها على كل ما هو جميل ونادر ، هذا بالإضافة إلى كونها مركزاً رئيسياً لتجارة الخشب والتي كانت تحتكر الدولة الفاطمية تجارته ، إلى جانب المنسوجات الكتانية والأواني الخزفية والفخارية ، وكانت تمد أسواق القاهرة بهذه المنتجات[١٦٤]. وتعد الإسكندرية من أكبر وأشهر أسواق البهارات في العالم ، وكانت تحمل إليها الأقمشة الأوروبية ، والبهارات من أسيا ، والمعادن والخشاب من بلاد فارس ، وتتم فيها المبادلات التجارية العالمية[١٦٥]

"دمياط"

هي مدينة قديمة بين تنيس ومصر تقع على ساحل مصر الشرقي ، وبرزت في ميدان التجارة والصناعة ، وأصبحت في العصر الفاطمي مركزاً هاماً لصناعة النسيج ، كما كانت تبنى فيها السفن التجارية والحربية ، هذا بالإضافة إلى دورها في الصراع بين المسلمين والصليبيين[١٦٦].

"تنيس"

جزيرة في بحر مصر بين الفرما ودمياط ، وهي مركز لصناعة الثياب الملونة والفرش البوقلمون[١٦٧]. وقد شيدت بها مصانع من أجل لباس السلطان ، ويقال (أن ملك فارس أرسل رسله إلى تنيس بعشرين ألف دينار ليشتري حلة من كسوة السلطان وقد بقي رسله هناك عدة سنين ولم يستطيعوا شراءها). وأرى أن هذه القصة تحوي شيئاً من المبالغة إلا أن ذلك يدل على أهمية تنيس لان ماينسج بها من أقمشة لا ينسج في مكان آخر فاشتهرت بنسج البوقلمون وهو قماش ذهبي اللون يتغير لونه في ساعات النهار.

"قوص"

مدينة قبطية ، وهي محط نزول التجار القادمين من عدن[١٦٨] ، حفيلة الأسواق ، بها خلق كثير وذلك لكثرة ما يفد إليها من الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنديين وتجار الحبشة.[١٦٩]

عيذاب"

من أهم الموانى التجارية على البحر الأحمر ، وعن طريقها كانت تنقل السلع من الدول الأوروبية إلى بلاد الشرق[١٧٠] ، وازدهر ذلك الثغر في القرنين الخامس والسادس للهجرة بسبب تحول طريق التجارة الفاطمية إلى الجنوب لان النزاع كان قائماً بين الفاطميين والسلاجقة ولاستيلاء الصليبيين على أيله ، كما كان للحجاج الذين يفدون إليها عن طريق مدينة توصي أو عن طريق أسوان دوراً في نشاط الحركة التجارية[١٧١].

ويتضح مما سبق ذكره كيف كان وضع التجارة في عهد الفاطميين ، ومن الطبيعي إن لكل بلد غني بموارده وصناعته تجارة داخلية ، وقد عرفنا ما هي التجارة الداخلية. وما هي أهم مراكز تجارة مصر الداخلية ، ولنشاط حركة هذه التجارة نجد أن الخلفاء الفاطميين شيدوا جسرا على شاطئ النيل ليسير عليه الناس ، ويمتد من القاهرة حتى أسوان ، ومن مبلغ عنايتهم بهذا الجسر أنهم عينوا له موظفاً يشرف على صيانته وتجديد عمارته. ويتبين من ذلك حرص الخلفاء الفاطميين على تيسير وسائل الانتقال البرية داخل البلاد ، كذلك عنايتهم بالطرق البحرية ومن أشهرها الطريق من الفسطاط إلى الإسكندرية فكانت تسير السفن من الفسطاط وعلى جوانبها أشجار النخيل والبساتين والضياع التي تنتهي إلى سور الإسكندرية[١٧٢] ، هذا من جانب نشاطها الداخلي أما الخارجي فكان مع الدول الأوروبية ودول الشرق الأقصى.

العلاقات التجارية الخارجية في العصر الفاطمي

كان للتسامح الديني الذي ميز بعض الخلفاء الفاطميين نحو تجارة أهل الذمة ، والسماح لهم بممارسة النشاط الاقتصادي ، ليحل كثيرا من التجار على البلاد وافدين إليها من بلاد أوروبا وبلاد المشرق محملين بمختلف السلع[١٧٣] ، مما دعا ذلك الخلفاء لعقد المعاهدات التجارية ، والسبب وراء تسابق الخلفاء الفاطميين نحو عقد تلك المعاهدات مع الغرب كان بغرض تنمية اقتصاد البلاد ، واتخاذ التجارة وسيلة لفرض الولاء السياسي والمذهبي خاصة بين بلدان المشرق العربي[١٧٤].

لم يكن للتجارة المصرية قبل الدولة الفاطمية أي نشاط يذكر خاصة في المحيط الهندي ، وعندما تغلغل الازدهار الداخلي الذي شمل شتى نواحي الحياة ، بالإضافة إلى الأمن والاستقرار ، خرجت الدولة الفاطمية إلى حيز العالمية في تجارتها ، فأصبحت مصر هي المسيطرة على تجارة البحر المتوسط ، وأمنت للمسلمين السيطرة التامة على البحار خاصة بعد الاستيلاء على العديد من الجزر ، كما كانت طرق المواصلات بين مصر والمغرب الأقصى ، مما عجل بخروج الدولة البيزنطية من دائرة الصراع التجاري ليصبح الطريق سالكاً أمام مدن ايطاليا خاصة البندقية ، ومدينة أما لفي[١٧٥]. وكان معظم التجار الإيطاليين يفدون من المدينة الثانية ، ذلك أنها كانت أول مدن ايطاليا التجارية التي أنشأت علاقات مع الفاطميين ، ثم جاءت البندقية لتقيم علاقات تجارية مع مصر فأوفدت تجارها سنة ٤٤٩هـ ، محملين بالفراء والخشب ناقلين لبلادهم توابل الهند وسلع مصر والشرق[١٧٦].

كما حرصت مدينة بيزا الإيطالية على توثيق الصلات مع الخلفاء الفاطميين ، كذلك مدينة جنوه[١٧٧] ، فكان كثيرا من التجار الجنويين يتوافدون إلى الإسكندرية لاستيراد بعض السلع ، هذا بالإضافة غلى العلاقات التجارية بين مصر الفاطمية وصقلية التي كانت خاضعة لها في السابق ، لكنها وقعت في أيدي النورمانديين ورغم ذلك ظلت العلاقات قائمة بين الطرفين[١٧٨]. وكان للتبادل التجاري مع بلاد الشرق الأقصى نصيباً ، فكانت تستورد مصر القطن من الهند لان

زراعته لم تنتشر بعد في مصر ، حيث ظل الكتان صاحب المقام الأول في المنسوجات ، واستوردت حرير الصين لتدخله في صناعة المنسوجات[١٧٩].

هذا بالإضافة إلى ظهور تجارة الكارم وتنسب إلى(الكارمية) ، وهم فئة من التجار كانت بيدهم تجارة البهار من الفلفل والقرنفل وغيرهما مما يجلب من الهند وبحيرة تشاد بالسودان الغربي[١٨٠]. وبرغم أن تاريخ نشأة هؤلاء التجار لم يعرف[١٨١] وأنهم ظهروا في بادئ الأمر في المحيط الهندي ،وان عدن في اليمن كانت مركزا لهم ، وبرز مجموعة من التجار المغاربة ، من مسلمين ويهود ، ليخالفوا الرأي السائد بأن هذه التجارة حكرا على التجار المسلمين[١٨٢] ، عمل الفاطميين على حماية تجار الكارم ، هذا فضلا عن استعانة الفاطميين بهؤلاء التجار في نشر المذهب الشيعي ، واستطاعوا نشرها في اليمن والهند[١٨٣].

تجارة مصر في عهد الدولة الأيوبية

عاشت مصر حياة الفوضى والاضطراب بسبب الصراع بين مراكز القوى فيها على السلطة ، وقويت شوكة الوزراء فأصبحوا هم المسيطرون على البلاد[١٨٤]. فدعى "شاور" وهو أحد الوزراء البارزين والمتنازعين على السلطة ، نور الدين زنكي ليعاونه في الوصول إلى الحكم ، فاستجاب له وأرسل إليه أسد الدين شريكوه ومعه صلاح الدين الذي استطاع أن يسيطر على زمام الأمور في البلاد ، فاستمال القلوب ، وبذل الأموال ، قلل من النظام الإقطاعي ، ليستقر الوضع في مصر ويتمكن صلاح الدين من أن يصل إلى الحكم بفضل محبة الناس له نتيجة أعماله ، وبذلك يضع أساس الدولة الأيوبية والتي ظهرت على أنقاض الدولة الفاطمية[١٨٥]. وواجهت الدولة الأيوبية من أجل تثبيت حكمها في مصر المصاعب الاقتصادية والمالية التي نجمت عن اضطراب أحوال مصر في أواخر عهد الفاطميين إضافة إلى وجود أزمة نقدية في مصر بنفاذ العملة الذهبية والفضية من أسواقها.فأدرك الأيوبيين ما للمصالح التجارية من أهمية في بقاء الإمارات اللاتينية ، والتنافس بين المدن الإيطالية.وعمل صلاح الدين جاهدا ليجذب تجارة هذه المدن نحو مصر ،ليحقق قاعدتين:الأولى:ازدياد موارده بسبب النشاط التجاري.الثانية:إضعاف تجارة الصليبيين[١٨٦].

لكن سرعان ما انتعش اقتصاد مصر في عهد صلاح الدين بسبب عودة تجارة المرور بين الشرق والغرب عبر أراضيها ، بعد انقطاعها فترة من الزمن بسبب الحروب الصليبية[١٨٧] ، وعلى الرغم من ذلك كانت الفترات التي يتوقف فيها القتال يحدث اتصالات حضارية ومعاملات اقتصادية بين الطرفين[١٨٨]. ودليلنا على ذلك وصف ابن جبير لما شاهده أثناء رحلته من دمشق إلى عكا ، حيث قال: (ومن أعجب ما يحدث به في الدنيا أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الإفرنج وسبيهم يدخل إلى بلاد المسلمين)[١٨٩] ، ومن أهم موانئ مصر التجارية وخاصة تجارة التوابل الإسكندرية ، فكانت ترد عليها السلع من دول أوروبا كذلك من المدن الإيطالية والعكس حيث كانت تنتقل سلع مصر إلى الغرب[١٩٠].

ومن علامات ازدهار التجارة في العصر الأيوبي أن راجت تجارة الكارم ، حيث انفرد المسلمين بهذه التجارة في العهد الأيوبي والمملوكي[١٩١]. ومن أهم الأسواق التي استخدمت في القاهرة: "سوق اللجميين" ويباع فيه الآت اللجم والسروج والجلد وكل ما يخص ركوب الخيل[١٩٢]. "سوق الشرابشيين" ويباع فيه الخلع التي يلبسها السلطان للأمراء والوزراء[١٩٣].

وظلت الأسواق الأخرى على حالها منذ أيام الدولة الفاطمية.وكعادة حال جميع الدول ينطفئ سراج دولة وينير سراج دولة أخرى ، فهاهي دولة صلاح الدين ينطفئ نورها بسبب الصراعات ليشتعل نور دولة المماليك لتحل محلها ولتبدأ دائرة الحياة من جديد. وقد قسم المؤرخون دولة المماليك في مصر إلى دولتين ، وهي دولة المماليك البحرية وحكمت في الفترة (٦٤٨-٧٨٣هـ) ، ودولة المماليك البرجية في الفترة (٧٨٤-٩٢٣هـ).

تجارة مصر في عهد الدولة المملوكية

المماليك البحرية

نجد مثلاً الملك الصالح نجم الدين يثبت ملكه بدماء جديدة ، فاستكثر من شراء المماليك الأتراك فأنشأهم نشأة عسكرية ، وعندما زاد عددهم في البلاد رأى أن يبني لهم قلعة خاصة بجزيرة الروضة كي يقيموا بها ومن هنا جاءت تسميتهم بالمماليك البحرية[١٩٤].

ويبدأ تاريخهم الفعلي وبروزهم على قمة الحدث في معركة المنصورة والتي كانت ضد الصليبيين ، وفي هذه الأثناء توفي الملك نجم الدين أيوب فاستدعى ابنه توران شاه ليتولى مقاليد الحكم في حصن حيفا[١٩٥] ، لكن سرعان ما ظهر للناس أن السلطان الجديد لم يكن الرجل المناسب لتولي مقاليد الحكم ويصلح أحوالهم مما حدا بالمماليك البحرية بالاتفاق مع زوجة أبية "شجرة الدر" على قتله[١٩٦] ، فأصبح بذلك كرسي العرش فارغاً فاختيرت شجرة الدر من قبل مماليكها لتولي عرش البلاد ، لكنها وجدت نفسها في موضع حرج ، مما جعلها تخلع نفسها من الحكم وتتزوج عز الدين أيبك الذي ما لبث أ قتل عل يد زوجته شجرة الدر ويتولى بعد ذلك مملوكة قطز[١٩٧] ، الذي ما لبث أن قتل أيضاً على يد بيبرس البندقداري بعد معركة عين جالوت[١٩٨].

ونجد أن بعض المؤرخين يروق لهم أن يبدءوا تاريخ دولة المماليك بتولية شجرة الدر حكم البلاد ، ولكني أرى أن تاريخ هؤلاء المماليك يبدأ بتولية الظاهر بيبرس العرش[١٩٩] ، فقد استطاع بشجاعته وحسن سيرته ، من أن يضع أسس قوية للدولة المملوكية وذلك بإقامة العديد من الإصلاحات الداخلية وحروبه الخارجية[٢٠٠] ، خلال سبعة عشر عاماً قضاها في حكم البلاد[٢٠١].

دولة المماليك الثانية

هي دولة المماليك البرجية "الشراكسة" قامت على أنقاض دولة المماليك البحرية ودعيت بهذا الاسم نسبة إلى منشأ سلاطينها فأغلبهم من الشعب الشركسي ، اقتنى منهم سلاطين الدولة البحرية عدداً كبيراً ، ونظراً لكثرتهم سكنوا الأبراج التي لقبوا بها ، استبدوا بالحكم فاتسعت دولتهم على يد السلطان العثماني "سليم الأول" سنة ٩٢٣هـ[٢٠٢].

ازدهرت الصناعة في هذا العصر نتيجة الثراء الذي عاشه المماليك أنفسهم ، فاحتلت الصناعة الحربية مكاناً بارزاً بين الصناعات ، ومنها صناعة السفن الحربية وذلك من اجل تقوية الأسطول البحري[٢٠٣]. كما انتشرت صناعة تكفيت البرونز والنحاس بالذهب ، وصناعة البلور والزجاج المعشق والملون ، والمصنوعات الخشبية بمختلف أنواعها[٢٠٤] ، وغيرها من الصناعات التي اشتهرت في ذلك العصر.

ونتيجة للكم الهائل من الصناعات التي تواجدت في ذلك العصر ، بالإضافة إلى النمو السكاني الكبير انعكست أثار ذلك على أسواق البلاد فطرأ تغيراً على أسواق القاهرة وتطورت بشكل عظيم ، مما أدى إلى اندثار أسواق قديمة وإقامة أسواق جديدة على انقاضها[٢٠٥].

ومن أهم أسواق القاهرة التي وجدت في عصر المماليك:"سوق الجوخيين" وهو من أهم الأسواق التي استحدثت في دولة المماليك ، وهو معد لبيع الجوخ الذي يجلب من بلاد الفرنجة لعمل المقاعد والستائر ، كذلك لصناعة الثياب المخصصة لعلية القوم[٢٠٦]. "سوق الكتبيين" وقد خصص لبيع الكتب[٢٠٧]. "سوق العنبرين" وكان في زمن الدولة الفاطمية سجن لأرباب الجرائم ولإقامة هذا السوق حكاية طريفة وهي أن قلاوون عندما مر من هذا المكان ليصل إلى منزله كان يشتم رائحة عفنة ، كما كان يسمع صراع المسجونين وشكواهم ، فجعل يقول: لو أن الله تعالى جعل له من الأمر شيئا أن يبني هذا الحبس مكاناً حسن ، ولما آل إليه ملك البلاد هدم الحبس وبناه سوقاً ليباع فيه العنبر[٢٠٨].

"سوق الفرايين" وكان يعرف قديماً بسوق الخزرقيين ، ثم سكن فيه صناعة الفراء وتجارته[٢٠٩]. "سوق البخانقين" وكان لعمل الطوق التي يلبسها الصبيان والبنات. "سوق الخلعيين" وهو من أعمر أسواق القاهرة ، لكثرة ما يباع فيه من ملابس أهل الدولة[٢١٠]. وغيرها من الأسواق الجديدة والمستحدثة ، ويدلنا كثرة الأسواق في العصر المملوكي بسبب حالة الرخاء التي عاشتها البلاد في ذلك العصر ، كذلك كثرة عدد المماليك ومتطلباتهم وما يحتاجه أمرائهم.

كما عرفت أسواق مصر والقاهرة نظام الصيارفة ، الذين كانت مهمتهم استبدال العملات لرواد السوق ، وقد خصص لهم حوانيت يجلسون فيها طيلة النهار في سوق السلاح[٢١١]. والصيرفة في عهد المماليك أشبه بالبنوك اليوم ، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على مدى تطور الحياة ونظمها في ذلك العصر ، ولم يكن يفوتهم شيء حتى تبادل العملات وتغيرها بما يوافق عملة بلدهم. بالإضافة إلى ذلك كانت تقام أسواق مؤقتة تختص بمناسبات معينة مثل الموالد.

"أسواق الموالد"

وتعد هذة الموالد سوقاً تجارية يعرض فيها شتى أنواع البضائع في أوقات منتظمة من كل عام ، حول أضرحة الأولياء مثل مولد السيد البدوي في طنطا ، وسيد العريان بضاحية المعصرة في القاهرة ، وكانت تقام الأسواق التجارية بجانب الموالد حتى أصبحت ملتقى الناس للبيع والشراء ، وكان التجار يأتون إليها من بلاد الشام والهند حاملين بضائعهم من أقمشة وحرير وأواني صلصالية وخزفية ولعب أطفال.

ونتيجة لهذا النشاط التجاري ، اندفع بعض أمراء المماليك إلى بناء "قيساريات" وهي ساحات متسعة مخصصة لتشجيع التجار لمزاولة نشاطهم ، ومن اشرها "الغورية في القاهرة" وتقام في أيام المولد النبوي لبيع الأقمشة والطرابيش[٢١٢]. وإذا تأملنا في التجارة وإقامة الأسواق الموالد ، نجد أن كثرة الوافدين من الناس لأجل الترويح الديني والعلاجي حسب معتقدات الكثير منهم هي السبب في هذا الرواج ، ولازالت تقام هذه الموالد إلى يومنا هذا ، وتباع فيها لعب الأطفال وبعض المنتجات الشعبية.

كما عرف هذا العصر بجانب الأسواق الوكالات ، والتي لم تعرف سوى في مصر دون غيرها من بلدان العالم الإسلامي ، وقيل إنها أقيمت منذ العصر الفاطمي وظلت إلى العصر المملوكي[٢١٣] وانتقلت من مصر إلى بلدان أخرى مثل بيزنطة التي حرصت على جذب التجار المصريين إلى عاصمتها ، مما دفعها إلى إنشاء وكالتين لتجار الشرق ، أحدهما لتجار الحرير المصري والأخرى لتجار التوابل والعطور ، كما أقامت وكالات تجارية من أجل الإشراف على تجارة المستعمرات في اشبيلية.

وقد انتشرت الوكالات في دولتي المماليك في مدينة القاهرة ، ولم يقتصر دورها من الناحية التجارية فقط بل تعداها إلى الأنشطة الصناعية حيث اتخذت مصانع لصناعة العطور والصابون[٢١٤]. وتعتبر الوكالة في حد ذاتها سوقاً تحتوي على بناء كبير فسيح ، به الفنادق لاستقبال التجار ووضع سلعهم بها وعرضها ، ولعل أشهر الوكالات التي ظلت إلى الآن "وكالة الغوري"[٢١٥]. وعرف أيضاً هذا العصر الفنادق ، ليقضي فيها الغرباء من التجار وأبناء السبيل من عناء السفر.[٢١٦]

والى جانب وظيفة السوق في البيع والشراء وتبادل السلع كان هناك وظيفة أخرى وهي النداء ، أي أنه إذا أراد الوالي إخبار شعبه بشيء فانه يرسل مناديا في السوق يعلم الحاضرين في السوق بما يريده ، لأن السوق يعد بمثابة أكبر تجمع للناس[٢١٧].

العلاقات التجارية الخارجية فترة الدولة المملوكية

بلغت مصر قمة النشاط التجاري الحقيقي في عهد المنصور قلاوون ، ويرجع ذلك إلى انشغال السلطان الظاهر بيبرس ، بتأسيس دولته الجديدة في الداخل وصد أعداءه من الخارج.وقد حرص المنصور قلاوون على حسن معاملة التجار والتودد إليهم[٢١٨] ، فشجع ذلك الدول الأجنبية لعقد صلات تجارية مع مصر ومنها "مملكة أرغوان" في أسبانيا التي حرص ملكها على إقامة صداقات قوية مع السلطان قلاوون من اجل فتح أسواق تجارية لهم في مصر[٢١٩] ، وحرص قلاوون على عقد الهدنة مع اليمن وتبادل الهدايا والعطايا مع ملكها ، وعمل نفس الشيء مع أمير سيلان ، وذلك من أجل استمرارا التجارة والمواصلات مع بلاد الهند والشرق[٢٢٠].

العلاقات مع شمال أفريقيا

ارتبطت أمارات شمال أفريقيا بعلاقات حسنة مع المماليك في مصر من خلال الجوار وبالرغم من طيب العلاقات إلا أن هناك توترا بسبب الخلافة ، لأن ملوك بني حفص لم يطلبوا من الخليفة العباسي في بغداد تفويضاً بالحكم مثل بقية حكام المسلمين[٢٢١]. لم تكن العلاقات السياسية بين الدولتين وحدها القائمة بل كانت هناك صلات تجاريه ، فكانت تستورد مصر من المغرب الزيوت ، وتصدر إلية المنسوجات الحريرية والكتانية[٢٢٢].

العلاقات مع السودان الغربي

على الرغم من بعد المسافات مع السودان الغربي ودولة المماليك لكن ارتبطت الدولتين بعلاقات تجارية ودينية ، وربط بينهم الطريق الصحراوي الذي ينتهي بالأهرام[٢٢٣] ، وكانت تعقد اتفاقيات تجارية بينها وبين النوبة إحدى مقاطعات السودان الغربي تقتضي استيراد الرقيق وتصدر إليها القمح والعدس والحبوب.[٢٢٤]

العلاقات مع جزيرة قبرص

تعرضت السفن التجارية التابعة للدولة المملوكية لهجمات القبرصيين ، فاتخذوا سواحل قبرص قواعد للانطلاق لمواجهة سفن الدولة الإسلامية ، وهذا ما دفع المماليك إلى ضم قبرص من أجل تأمين تجارة مصر في البحر المتوسط ، كذلك القضاء على القوى

الصليبية المتحالفة ضد المسلمين[٢٢٥]، وعندما اعتلى السلطان بيبرس عرش البلاد أرسل عدة حملات لضم قبرص وتمكن في النهاية من ذلك[٢٢٦].

العلاقات مع جنوة

حرص سلاطين دولة المماليك الجراكسة على الاحتفاظ لمصر بمكانتها بين الشرق والغرب، لم يعد يكفي النظام الذي اعتمد عليه مماليك البحرية إذ تطرق إليه الفساد، مما جعل سلاطين دولة الجراكسة يتجهون إلى التجارة مع ايطاليا ودول أوروبا، وظلت موانئ مصر وبلاد الشام الواقعة على البحر الأبيض المتوسط مراكز للاتصال التجاري، فتجمعت في أسواق مصر السلع الشرقية والغربية[٢٢٧].

أدى سقوط القسطنطينية عام (٨٥٧هـ) في أيدي الأتراك إلى انعدام الأمن مما أدى إلى انهيار طرق التجارة، فدفع ذلك التجار الأوربيين إلى النزوح لمصر وبلاد الشام، فساهم السلطان اينال في إنعاش التجارة وتشجيعها فعمل على إعفاء التجار من الضرائب، كما سمح بتوسيع وكالاتهم وتجديدها، وإنشاء المصارف والفنادق. وعندما لمست البابوية حسن معاملة المماليك لتجارها خلاف معاملة العثمانيين، خففت من قيود التحريم والمقاطعة مع دولة المماليك، تعويضاً لهم عن فقد أسواق القسطنطينية[٢٢٨]. ارتبطت تجارة أهل جنوة ارتباطاً وثيقاً مع تجارة المماليك، وعند خضوع جنوة للسلطات الفرنسية استأنفت التجارة من جديد[٢٢٩].

البندقية

زاد نشاط البنادقة في مصر اثر توتر العلاقات بينهم وبين العثمانيين، كما انتهزوا انهيار شركة كير الفرنسية لتقوية نشاطهم التجاري[٢٣٠]، فأمدوا مصر بالأخشاب وحملوا إليها القطن من اللاذقية، لكن سرعان ما تأزم الوضع بين المماليك والبنادقة، وذلك لأن السلطات المملوكية أرادت احتكار تجارة التوابل ورفع أسعارها وفرضها على التجار، وعندما رفض تجار البنادقة الشراء بالسعر المرتفع تأزم الوضع بينهم، فبحثت البندقية عن سوق جديد فوجدت ضالتها في قبرص[٢٣١]. وشعرت البندقية بخطر يهدد مصالحها نتيجة نمو التجارة البرتغالية مع الهند وانحراف البرتغال إلى الأسواق الأوربية بالسلع الشرقية وبأسعار مخفضة، مما دفع البندقية إلى إرسال سفرائها لدولة المماليك من أجل إرجاع العلاقات التجارية فيما بينهما[٢٣٢].

فلورنسا

كان للفلورنسين نشاط تجاري متوسع مع مصر فأنشأت الفنادق والقناصل وكان لهم حق رعاية مصالح رعاياهم، هذا بالإضافة إلى أنهم لم يواجهوا أي اشتباك من قبل السلطات المملوكية[٢٣٣]، وقد يعود هذا إلى اهتمام الفلورنسين بالتجارة فقط دون التطلع إلى أي مصالح أخرى.

سلع التبادل التجاري

لموقع مصر الجغرافي أثر مهم في حياتها الاقتصادية القائمة على التجارة وتبادل السلع بين دول الشرق والغرب، فهي تطل على البحر المتوسط من الشمال، والبحر الأحمر من الشرق، وتتوسط القارات الثلاث أسيا وأوروبا وأفريقيا، وبذلك تصبح حلقة الاتصال بين دول القارات مما أكسبها هذه الأهمية التجارية[٢٣٤].

عرف الغرب الأوربي نتيجة احتكاكه بالبلاد الإسلامية عن طريق الحروب الصليبية طعماً مختلفاً للطعام وذلك بإضافة التوابل التي أولعوا بطعمها، فنشطت تجارة الكارم في مصر بفضل دعم السلاطين لهذا النوع من التجارة، مما يعود منها على البلاد من أرباح وفيرة. فعنيت الدولة بتنظيم شؤونها، فخصصت لها موظفاً عرف بـ "ناظر البهار والكارم" تتلخص مهمته في تنظيم شؤونها، فكانت تجلب من بلاد الهند لمصر وتصدر إلى الغرب الأوربي[٢٣٥].

وعندما بلغت تجارة الكارم أوجها لجأ بعض سلاطين المماليك إلى سياسة الاحتكار والتي بلغت أشدها في عهد الاشرف برسباي الذي احتكر تجارة التوابل وأجبر التجار على شراءها بالسعر الذي فرضه من متجره الخاص والذي عرف بـ "المتجر السلطاني"[٢٣٦]. وكانت تستورد مصر البخور والصموغ العطرية من بلاد الهند وتصدرها إلى الغرب الأوربي الذي أغرم بهذه المنتجات وخاصة البندقية وجنوه[٢٣٧].

كما استوردت مصر الأخشاب من الهند وخاصة خشب الساج الذي نقل من الهند إلى بلاد ما وراء النهرين ليصل إلى مصر واستعمل في بناء السفن[٢٣٨]، والصناديق الخشبية ومنابر المساجد والشبابيك "المشربيات"[٢٣٩]. وكان يرد إلى مصر العاج وريش النعام من السودان، والزيوت والصابون والفواكه من البلقان والأناضول[٢٤٠]، ومن الصين يجلب الحرير والخزف[٢٤١]، ومن أصفهان الفضة والنحاس[٢٤٢]. وخام الحديد الذي يصنع منه الفولاذ فكان ينقل عبر التجار المسلمين إلى الهند وينتج منه أجود أنواع السيوف الهندية[٢٤٣].

أما مصر فكانت تنتج وتصدر إلى البلاد الأخرى أفخر أنواع الثياب والتي تصنع في دمياط وتنيس، كذلك معدن الزبرجد، ودهن البلسان، والبغال[٢٤٤]، وحجر الشب المتعدد الاستخدامات كاستخدامه في صناعة الصبغ الأحمر[٢٤٥]، وكان أهم تصدير لمصر من إنتاجها للغرب السكر والتمر والقطن[٢٤٦]. هذا بالإضافة إلى كونها رائجة لتجارة الأعشاب الطبية التي تستعمل في صناعة الأدوية[٢٤٧]، وجد بها أقدم أسواق الرقيق، خاصة القاهرة والإسكندرية[٢٤٨].

أشهر الطرق التجارية لتجارة مصر الداخلية والخارجية

ومن أهم الطرق التجارية البرية طريقان عظيمان يخرجان من مصر إلى الغرب، وقد سمي الأول بطريق "السكة"، ثم بدل بعد ذلك بطريق "طرابلس" ومنها للقيروان وبنفس الاتجاه يسير هذا الطريق على طول الساحل إلى السويس، ويصل هذا الطريق الشرق بالأندلس[٢٤٩]. أما الطريق الآخر فكانت تأتي منه بضائع البحر المتوسط في طريقها إلى الهند عن طريق الدواب إلى الفرما ومنها إلى بحر القلزم.

وطريق أخر كانت تعبره قوافل الحج ويبدأ من الطريق المحاذي للنيل إلى قوص، فهي مركز تجاري وملتقى الطريق الذي يبدأ من أسوان ثم بلاد النوبة ومنه يبدأ الطريق الثاني إلى عيذاب ويسير عبر الصحراء للقلزم ثم بالسفن عبر البحر الأحمر إلى ميناء الجار[٢٥٠]، وهناك طريق من الرمله للفسطاط ماراً بغزة ثم رفح ومنها إلى العريش-العذيب ثم الفرما وبلبيس ثم الفسطاط[٢٥١].

الطرق التجارية البحرية والنهرية

لقد وهب الله عز وجل النيل لمصر وهي هبة النيل، فعن طريق النيل العظيم قامت حضارة من اعرق حضارات العالم. وقد استغل النيل في الزراعة ونقل السفن التجارية، اذ أفادت مصر كثير من موقعها التجاري في تصدير واستيراد البضائع، كما اهتم العرب الفاتحين أيضا بذلك، فاهتم عمر بن الخطاب بإعادة حفر القناة التي

تصل البحر الأحمر بالنيل وهو المكان الذي كان يتفرع منه النيل إلى فروعة في الدلتا[٢٥٢].

ومن أشهر الطرق التي سلكتها السفن طريق يأتي عن طريق البحر الأحمر إلى عيذاب ومنها تحمل الإبل إلى قوص وتنقل إلى القاهرة عن طريق النيل وتواصل السفن سيرها إلى أن تصل إلى الإسكندرية[٢٥٣]. وهناك طرق أخرى مثل طريق السطور وهو ساحل قرب بحر القلزم بين أيله ومصر وينتهي في بلاد الحجاز وكان يفضل السير فيه نهاراً لكثرة الشعب المرجانية ، وطريق السويس قرب مدينة القلزم ، وهو اقرب الطرق الى القاهرة والفسطاط.

وبالإضافة إلى هذا الطريق هناك طريق أخر من الغرب إلى الشرق (أوربا- الشرق الأقصى) عن طريق مصر ويسلكه غالياً التجار اليهود الوافدين من فرنسا ، حيث يجلبون معهم الجواري والفراء وترسوا سفنهم عند الفرما ومنها للقلزم إلى الإسكندرية وتستقر سفنهم في القاهرة ، ثم تنقل بضائعهم برا بالدواب إلى القلزم ، ومنها عبر البحر الأحمر إلى الهند والصين[٢٥٤].

كما يوجد طريق يوصل إلى أوربا ويأتي من الشرق الأقصى إلى البحر الأحمر وله فرعان ، يتجه احديهما شمالاً عبر سيناء إلى دمشق ثم موانئ البحر المتوسط ، ويتجه الآخر عبر الصحراء إلى النيل فالقاهرة ومنها إلى الإسكندرية فأوربا إلا أنه محفوف بالمخاطر منها المساحة الواسعة من الصين إلى البحر الأحمر وما فيها من تيارات هوائية ، وكذلك كثرة الشعب المرجانية[٢٥٥].

كشف طريق رأس الرجاء الصالح

وهكذا رأينا أن التجارة كانت مصدر لثروة المماليك ، فهم معتلون مصر ، فامتلأت خزائنهم بالأموال وأنفس الجواهر. ونتيجة لثراء هؤلاء المماليك الذي انعكس على البلاد فأصبحت بذلك مصر محط أنظار جميع التجار الراغبين في الثراء فكان التاجر الأجنبي يشتري البضاعة من مصر بمقدار ٣٥,٠٠٠ جنيه فيبيعها في أوربا بما لا يقل عن ٧٠,٠٠٠جنيه مما أشعل فتيل الحسد في الممالك الأوربية بسبب احتكار مصر للتجارة الهندية[٢٥٦]. فلما رأى الأوربيين سيطرة العالم الإسلامي على الطرق التجارية القديمة وما يعود عليهم ارباح من خلال هذه التجارة ، دفعهم ذلك الى التفكير في طريق أخر يوصلهم إلى الهند[٢٥٧] هذا بالإضافة إلى رغبتهم في التخلص من رسوم الجمركة التي تدفعها سفنهم التجارية[٢٥٨].

والبرتغال هم أول من فكر في البحث عن طريق أخر الى الهند ،فقاموا برحلات استكشافية في المحيط الأطلسي بمعاونة هينري الملاح ابن ملك البرتغال الذي دعى الى الكشوف الجغرافية ، الى ان تمكن "فاسكو ديجاما" من عبور رأس الرجاء الصالح[٢٥٩] ، وكان لهذه الكشوفات نتائج خطيرة اثرت على التاريخ ومصير الدول الاسلامية ، أهمها هو تحول طرق التجارة بعيداً عن الدوله الإسلامية ، كما أنها البداية الحقيقية لحركة الاستعمال الذي عرفه العالم الإسلامي.

أما على الصعيد الداخلي الخاص لدولة المماليك ، فكان شعلة الفتيل التي اشتعلت ، فقامت حركات التمرد والثورات الداخلية ، مما اضعف اقتصاد الدولة وبالتالي ظهر العجز والمجاعات داخل البلاد ، فأصبح المماليك غير قادرين على السيطرة على وضع البلاد ، وهذا كان من اسباب التعجيل بنهاية دولة المماليك ، والتي كانت في وقت ما صرحاً قوياً ضد أعداء الدولة الإسلامية واستطاعت ان تحفظ حضارة الإسلام ، وذلك على الرغم مما حمله المماليك من تناقضات جمعت بين الخير والشر ، وظهر منهم أبطال شجعان تغنى الناس ببطولاتهم أمثال الظاهر بيبرس مؤسس الدولة والذي صد خطر الصليبيين وكسر شوكة المغول ، وطومان باي ذلك الأسد الضاري الذي ظل لأخر لحظة يدافع عن مصر ضد أطماع العثمانيين.

الخاتمة

استعرضنا في هذا البحث تاريخ التجارة ، وكيف كانت قبل الإسلام وبعده وحالها عند الفتوحات الإسلامية ، وصلاتها التجارية مع معظم بلدان العالم ، حتى وصلت للصين شرقا ، وأوروبا غربا ، وبلاد الروس شمالاً ، والحبشة وسواحل أفريقيا جنوباً. وتبادل السلع المتنوعة ، والذي ترتب علية إقامة أسواق لهذه السلع. وكانت أساس تجارتهم الحرير والرقيق ، خاصة في العصر العباسي والمملوكي.

واستطاعت التجارة ، أن تصل بالمسلمين إلى الريادة ، لتصبح بغداد ، والقاهرة أهم المراكز التجارية ، والتي تتحكم في الأسعار والأسواق ، كما اعتبرت التجارة إحدى قنوات نقل الحضارة الإسلامية للغرب الأوربي ، وأثرت حركة التجارة الواسعة هذه في حياة الناس ، سواء في الحركة الاقتصادية أو الاجتماعية. فمن الناحية الاقتصادية كانت مصدر ثروة لعدد كبير من الناس ، أما من الاجتماعية فإنها ملأت البيوت بالرقيق من مختلف الأصناف.

وأخيرا يسحب بساط هيمنة المسلمين على التجارة ليصبح في أيدي الأسبان بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح ، ليعود على المسلمين بالخسارة والربح والسيطرة للغرب الأوربي. وبالرغم منذ ذلك ستظل الحضارة الإسلامية الرائدة في جميع المجالات.

الهوامش

(١) ابن منظور/محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ، لسان العرب ج ٤ ، (بيروت: دار صادر ، ط ١ ، د.ت)ص ٨٩.

(٢)الرازي/محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، (لبنان: مكتبة لبنان ، د.ط ، ١٩٩٩)ص ٦٦.

(٣) المنجد في اللغة والإعلام ، تحقيق: شفيق غربال ، (لبنان: دار المشرق ، ط ٣٩ ، ٢٠٠٢)ص ٥٩.

(٤) ابن خلدون/عبد الرحمن بن خلدون(ت ٨٠٨ هـ) ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق:درويش الجو يدي ، (بيروت: المكتبة العصرية ، ط ١ ، ١٤١٩)ص ٣٦٦.

(١) حسن جبر ، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها ، (الكويت: دار الكتاب الحديث ، د.ط ، ١٩٩٨)ص ١٩٠.

(٢) حسن الباشا ، دراسات في الحضارة الإسلامية ،(القاهرة: دار النهضة د.ط ، ١٩٧٥)ص ١٤٣.

(٣) إبراهيم سليمان الكروي ، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ،(الإسكندرية:مركز الإسكندرية للكتاب ، د.ط ، د ، ت)ص ١٩٩.

(٤) سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، (بيروت: دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٧٤)ص ١٥

(٥) سليمان إبراهيم العسكري ، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي ، (القاهرة: مطبعة مدني ، ط ١ ، ١٩٧٢)ص ١٤

(٦) قصي الحسين ، موسوعة الحضارة العربية(العصر الجاهلي) ، (بيروت: دار البحار ، ط ١ ، ٢٠٠٤)ص ١٠٨.

(٧) قصي الحسين ، موسوعة الحضارة العربية ، ص ٥.

(٨) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٨ ، (بيروت: دار العلم للملاين ، ط ١ ، ١٩٧١)ص ٢٨١.

(٩) احمد إبراهيم الشريف ،مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ،(القاهرة:دار الفكر العربي ،ط ١ ، ١٩٦٥)ص ١٥٥ .

(١٠) ابن عبد ربه/احمد بن محمد(ت٣٢٨ هـ) ، العقدالفريدج ٣ ،تحقيق:محمد عبد القادر شاهين ،(بيروت:المكتبة العصرية ،د.ط ،١٤٢٣ هـ)ص ٢٥١ .
(١١) أبي الفداء/عماد الدين إسماعيل(ت ٧٣٢ هـ) ،المختصر في أخبار البشر ج ١ ،تحقيق:محمد زينهم عزب ،(القاهرة:دار المعارف ،ط ١ ،د.ت)ص ١٣٧ .
(١٢) ابـن كثيـر/أبـي الفـداء إسـماعيل(ت ٧٧٤ هـ) ،البدايـة والنهايـةمج ١ ،تحقيـق:عبـد الـرحمن الادقي ،محمـد غـازي بيضـون ،(بيـروت:دار المعرفـة ،ط ٥ ، ١٤٢٠هـ) ص ٥٩٩ .
(١٣) الازرقي/أبـو الوليـد محمـد بـن عبـد الله ،أخبـار مكـة ومـا جـاء فيهـا مـن الاثار ،تحقيق:رشدي الصالح ،ص ١٠٦.
(١٤) الازرقي ،أخبار مكة ،ص ١١١ .
(١٥) جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب ج ٧ ، ص ٣٠٢ .
(١٦) سورة قريش ،اية ١و٢ .
(١٧) اليعقوبي/احمد بـن ابي يعقـوب بـن جعفر(ت ٢٨٤ هـ) ،تـاريخ اليعقـوبي ج ١ ،(بيروت:دارصادر ،د.ط ،ت)ص ٢٤٢ .
(١٨) جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب ج ٧ ،ص ٢٨٨ .
(١٩) احمد ابراهيم الشريف ،مكة والمدينة ،ص ١٧٦ .
(٢٠) جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب ج ٧ ،ص ٣٢٦ .
(٢١) الرازي ، مختار الصحاح ،ص ٢٨٣.
(٢٢) علي حسـن الخربـوطلي ، الحضـارة العربيـة الإسـلامية ، (القـاهرة: مكتبـة الانجلو ، ط ١ ، د.ت) ، ص ٢٥٩.
(٢٣) علي حسـن الخربـوطلي ، تـاريخ الطـرق في ظـل الحكـم الأموي ، (القـاهرة: مكتبة الانجلو ، د.ط ، د.ت) ، ص ٣٧٢.
(٢٤) علي حسن الخربوطلي ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص ٢٦٠.
(٢٥) سعيد الافغاني ، اسواق العرب ،ص ٢١٣ .
(٢٦) المرزوقي/ابوعلي الاصفهاني ،الازمنة والامكنة ج ٢ ،(حيد آباد الدكن ، مجلس دائرة المعارف ،ط ١ ، ١٣٣٢ هـ)ص ١٦١ .
(٢٧) قصي الحسين ،موسـوعة الحضـارة العربيـة(العصـر الجـاهلي) ،(بيـروت:دار ومكتبة الهلال ،ط ١ ، ٢٠٠٤)ص ٤١٢ .
(٢٨) سعيد الافغاني ،اسواق العرب ،ص ٢٤٥ .
(٢٩) سعيد الافغاني ،اسواق العرب ،ص ٢٥٢.٢٦٠ .
(٣٠) لمرزوقي ،الازمنة والامكنة ج ٢ ،ص ١٦٥ .
(٣١) قصي الحسين ،الحضارة العربية(العصر الجاهلي) ،ص ٤٢٠ .
(٣٢) الازرقي ،اخبار مكة ،ص ١٣٢.
(٣٣) المرزوقي ،الازمنة والامكنة ج ٢ ،ص ١٦٦ .
(٣٤) جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب ج ٧ ،ص ٢٩٢.
(٣٥) جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب ج ٧ ،ص ٢٩٣.
(٣٦) شـوقي عبـد القـوي عثمان ،تجـارة المحـيط الهنـدي فـي عصـر السـيادة الإسلامية ، (الكويت:عالم المعرفة ، ١٤١٠هـ)ص ٢١٨ .
(٣٧) شوقي عبد القوي عثمان ،تجارة المحيط الهندي ،ص ٢١٩ .
(٣٨) الاصـطخري/ ابـن اسـحق ابـراهيم بـن محمـد الفارسـي المعـروف بـالكرخي (ت ٣٥٠هـ) ، المسـالك والممالـك ، تحقيـق: محمـد جـابر الحسـيني ، (القـاهرة:وزارة الثقافة والارشاد القومي ، د.ط ، ١٩٥٨م) ،ص ٢٣ .
(٣٩) عطية القوصي ، تجارة الخليج ،ص ٢١ .
(٤٠) قصي الحسيني ،الحضارة العربة(العصر الجاهلي) ،ص ٩ .
(٤١) فكتـور سـحاب ،إيلاف قـريش رحلـة الشـتاء والصـيف ،(بيـروت:المركـز الثقافي ،ط ١ ، ١٩٩٢)ص ٢٣٨ .
(٤٢) موريس لومبار ، الإسلام في مجده الاول ،ص ٢١٧ .
(٤٣) ابـن خردذابـة/أبـي القاسـم عبيـدالله بـن عبـد الله ،المسـالك والممالك ،(بيروت:دار صادر ،د.ط ، ١٨٨٩)ص ٩٢ .
(٤٤) عبـد السـلام الترمـانيني ،الرق ماضـيه وحاضـره ،(الكويـت:عـالم المعرفة ،المجلس الوطني الثقافي للاداب والفنون.د.ط ، ١٩٧١)ص ٨٥ .
(٤٥) عبد السلام الترمانيني ،الرق ماضيه وحاضره ،ص ٨٦ .
(٤٦) أنيس الأبيض ، بحوث في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، (طرابلس: جروس برس ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ)ص ٨٦ .
(٤٧) الاصفهاني/أبي فرج علي بن الحسين(ت ٣٥٦هـ) ،الأغاني ج ٤ ،(بيروت:دار إحياء التراث العربي ،ط ١ ،د.ت)ص ٤٤٩ .
(٤٨) نـاجي معـروف ، اصـالة الحضـارة العربيـة ، (بيـروت:دار الثقافـة ،ط ١ ، ١٣٩٥هـ)ص ٢٧٧ .
(٤٩) موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول ،ص ٣٠٨ .
(٥٠) ابن رسته/ أبي علي أحمد بن عمر ، الاعلاق النفيسة ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ) ، ص ١٦٢ .
(٥١) ابن خرداذبة ،المسالك والممالك ،ص ١٣٤ .
(٥٢) ابن خرداذبة ،المسالك والممالك ،ص ٧٨ .
(٥٣) الهمداني/الحسن بن احمدبن يعقوب ،صفة جزيرة العرب ، تحقيق:محمد بن علي الاكوع ،(الرياض:منشورات دار اليمامة ،ط ١ ، ١٩٧٤)ص ٦٨ ،
(٥٤) كان لطريق الحرير مساران رئيسان:احدهما شمالي وهو الطريق البري الذي يبدأ في الصين وينتهي بأوربا مارا ببلاد اسيا الوسطى والأناضول ، وينتهي إلى انطاكيا ، ثم يواصل بحرا الى ساحل ايطاليا ، منها يستمر برا إلى أسبانيا و اوربا الغربية.
أما المسار الجنوبي ، فهو الطريق البحري ويبدأ من ميناء كانتون بالصين ، ليعبر بحار الصين ثم يلتف حول سواحل شبه القارة الهندية ليدخل في البحار المحيطة بالجزيرة العربية ، ليتفرع إلى فرعين: احديهما يتجه شمالا في الخليج العربي ليصل إلى بلاد فارس وبلاد ما وراء النهرين ، وفرعه الآخر ، يتجه غربا إلى سواحل اليمن والحبشة ثم يسلك البحر الأحمر ليصل إلى سواحل الحجاز ودول حوض البحر المتوسط ،وتتفرع من هذين المسارين طرق فرعية كثيرة.
(٥٥) السـيد عبـد العزيـز سـالم و محمـد عبـد المـنعم الجمل ،الحضـارة الإسـلامية ،(الإسـكندرية: دار المعرفـة الجامعيـة ،د.ط ، ٢٠٠٢)ص ٢٢٠ www.china.org cn/a -sichou/
(٥٦) إبـراهيم سـليمان الكـروي ، المرجـع فـي الحضـارة العربيـة الإسـلامية ، (الإسكندرية: مركز الكتاب ،د.ط ،د.ت)ص ١٩٨ .
سيراف:بناها العباسيون لخدمة تجارة الشرق. وقد نافست البصرة ،لتصبح من المدن التجارية الهامة.
(٥٧) عطية القوصي ،تجارة الخليج ،ص ١٢ .
(٥٨) جورج فضلو حوراني ،العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة:يعقوب بكـر ، تحقيـق:يحي الخشـاب ،(القـاهرة:مكتبـة الانجلـو المصـرية ،د.ط ، ١٩٥٨) ص ٢٠٧ .
(٥٩) الحميـري/محمـد بـن عبـد المـنعم ، الـروض المعطـار فـي خبـر الأقطـار ، تحقيق:إحسان عباس ،(بيروت:مكتبة لبنان ،ط ٢ ، ١٩٨٤)ص ٧٠
ايلة:تقع على طريق مكة ،وهي اول حد بلاد الحجاز ،وتقع على ساحل البحريعمل اهلها بالتجارة.
(٦٠) الجار: مدينـة بالحجـاز على سـاحل البحـر وهي قريبـة مـن جـدة.وترد إليها السـفن مـن مصـر والبحـرين والصـين. /الحميـري ، الـروض المعطـار ،ص ١٥٣ /الاندلسي/عبدالله بن عبد العزيز البكري(ت ٤٨٧هـ) ، معجم ما أستعجم من أسماء الـبلاد والمواقـع ج ١ ،تحقيـق:مصـطفى السـقا ،(بيـروت:عـالم الكتب ،د.ط ،د.ت)ص ٣٥٥ .
جـدة: تقـع شـرق سـاحل مكـة ، ويعمـل اهلهـا بالتجـارة وصـيد الاسـماك. الاندلسي ،معجم ما أستعجم ،ص ١٥٧ .
(٦١) غياث بـن علي بـن جريس ،بحـوث فـي التـاريخ و الحضـارة الاسـلامية ج ١ ،(الاسكندرية:دار المعرفة الجامعية ،د.ط ، ١٤١٣ هـ)ص ٤٩
(٦٢) ابـن هشـام/أبـو محمـد عبـد الملـك ، السـيرة النبويـة ج ١ ، تحقيـق:مصـطفى السـقا ، إبـراهيم الابيـاري ، عبـد الحفـيظ شـلبي ،(جـدة: مؤسسـة علـوم القران ،د.ط ،د.ت)ص ١٦٠ .
(٦٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ،ص ١٨٠
(٦٤) الغزالـي/محمـد الغزالي ،فقـه السـيرة ،(القـاهرة:دار الكتـاب العربـي ،ط ٢ ، ١٣٧٥ هـ)ص ٥٣ .

(٦٥) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ج ١ ،(القاهرة:مكتبة النهضة المصرية ،ط ١ ، ١٩٦٧) ،ص ٧٨ .

(٦٦) ابن سلام/ابي عبيد القاسم ، كتاب الأموال ، تحقيق:محمد خليل هراس ،(بيروت:دار الكتب العلمية ،ط ١ ، ١٤٠٦هـ)ص ٢٨٠ .
(٦٧) السيوطي/الحافظ جلال الدين(ت ٩١١ هـ) ،تاريخ الخلفاء ،(بيروت:دار الكتب العلمية ،د.ط ،د.ت)ص ٢٩ .
(٦٨) السيوطي ،تاريخ الخلفاء ،ص ١٢٠ .
(٦٩) احمد الشريف ،مكة والمدينة ،ص ٢٠١ .
(٧٠) السمهودي/نور الدين علي بن احمد المصري ،وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١ ،تحقيق:محمد محي الدين ،(بيروت: دار احياء التراث ،ط ٣ ، ١٩٨١)ص ٧٤٦ .
(٧١) احمد الشريف ،مكة والمدينة ،ص ٣٦٥ .
(٧٢) البخاري/الإمام الحافظ ابي عبدالله محمد بن إسماعيل(ت ٢٥٦هـ) ،صحيح البخاري ج ١ ،تحقيق:محمد محمد تامر ،(القاهرة:مؤسسة المختار ،ط ١ ، ١٤٢٤هـ)ص ٤٦٥ .
(٧٣) عبد السميع المصري ، التجارة في الإسلام ،(القاهرة:مكتبة وهبة ،ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ)ص ٢٥ .
(٧٤) احمد الشريف ، مكة والمدينة ،ص ٤٩٤ .
(٧٥) عبد السميع المصري ، التجارة في الإسلام ،ص ١٥ .
(٧٦) حسن الباشا ، دراسات في الحضارة الإسلامية ،ص ١٤٣ .
(٧٧) حسن جبر ، اسس الحضارة العربية ، ص ١٩٢ .
(٧٨) أنور الرفاعي ، النظم الإسلامية ، (دمشق: ، دار الفكر ، ١٤٢٢هـ)، ص ٢٦١.
(٧٩) سيد عبد العزيز سالم و محمد عبد المنعم الجمل ، الحضارة الإسلامية ، ص ٢٢٠.
(٨٠) محمد محمود محمدين ، التراث الجغرافي الاسلامي ،(دار العلوم للطباعة والنشر ،ط ٤ ، ١٤٢٤ هـ) ص ٤٤.
(٨١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ج ٤ ،ص ٤٠٥ .
(٨٢) حسن الباشا ، دراسات الحضارة الإسلامية ، ص ١٤٣.
(٨٣) محمد محمود محمدين ، التراث الجغرافي ، ص ٣٧٢.
(٨٤) أحمد إبراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٠.
(٨٥) أنور زلقمة ، المماليك في مصر ،(القاهرة: مكتبة مدبولي ، ط ١ ، ١٤١٥هـ) ص ٤٨.
(٨٦) حسن الباشا ، دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ١٤٣.
(٨٧) أنيس الأبيض ، بحوث في تاريخ الحضارة ، ص ١٦٣.
(٨٨) الراوندية:قوم من أهل خراسان يؤمنون بتناسخ الارواح ،وخرجوا على المنصورسنة ١٤١ هـ ، ويزعمون أن المنصور ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم ،وتمكن النصور من الامساك بزعماء هذه الطائفة.
ابن الاثير/عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم(ت ٦٣٠ هـ) ،الكامل في التاريخ ج ٥ ،تحقيق:علي شيري ،(بيروت:دار احياء التراث العربي ،ط ١ ، ١٤٢٥هـ)ص ٤٠ .
(٨٩) ابن طباطبا/ محمد بن علي المعروف بأبن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، تحقيق: ممدوح حسن محمد ، (بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية ، د.ط ، د ، ت) ، ص ١٥٨.
(٩٠) ابن تغر بردي/ جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ، تحقيق: محمد حسن شمس الدين ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٣هـ) ، ص ١٤٠-١٤١.
(٩١) البلاذري/ أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر ، فتوح البلدان ، تحقيق: عبد الله أنيس الصباغ ، عمر أنيس الصباغ ، (بيروت: مؤسسة المعارف ، د.ط ، ١٤٠٧هـ) ، ص ٤١٤.
(٩٢) ابن كثير/الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل(ت ٧٧٤ هـ) ،البداية والنهاية مج ٦ ،تحقيق:عبد الرحمن الادقي و محمد غازي بيضون ،(بيروت:دار المعرفة ،ط ٥ ، ١٤٢٠ هـ)ص ١٠٢ .

(٩٣) موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول ، ترجمة: إسماعيل العربي ، (الجزائر ، الوطنية للنشر والتوزيع ، د.ط ، ١٩٧٩م) ، ص ١٩١.
(٩٤) حسن احمد محمود واحمد إبراهيم الشريف ،العالم الإسلامي في العصر العباسي ،(القاهرة:دار الفكر العربي ،د.ط ،د.ت)ص ١٧٧ .
(٩٥) حسين علي المسري ، تجارة العراق في العصر العباسي ، (د.م ، د.ط ، ١٤٠٢هـ)ص ٤٣ .
(٩٦) ابو حيان التوحيدي/الإمتاع والمؤانسة ،تحقيق:محمد الفاضلي ،(بيروت:دار الجيل ،ط ١ ، ٢٠٠٣)ص ٢٠٤ .
(٩٧) الاصفهاني ،الاغاني ج ٢٠ ،ص ٤٤ .
(٩٨) احمد امين ،ظهر الاسلام ،(بيروت:دار الكتاب العربي ،ط ١ ، ١٤٢٥ هـ)ص ٦٣ .
(٩٩) الطبري/ أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ) ، ص ٤٧٩.
(١٠٠) اليعقوبي/ أحمد بن ابي يعقوب واضح الكاتب (ت ٢٨٤هـ) ، تاريخ البلدان ، (ليون ، د.ط ، ١٨٩٠م) ، ص ١٨.
(١٠١) حسين المسري ، تجارة العراق ،ص ٩٠.
(١٠٢) حسين المسري ، تجارة العراق ، ص ٩١.
(١٠٣) الطبري ،تاريخ الطبري ، ص ٤٣٩.
(١٠٤) اليعقوبي ، تاريخ البلدان ، ص ٣٧.
(١٠٥) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٦.
(١٠٦) سليمان إبراهيم العسكري ، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي ، (الكويت: مؤسسة الشراع العربي ، ط ٢ ، ١٩٩٨م) ، ص ١٢٨.
(١٠٧) اليعقوبي ، تاريخ البلدان ، ص ٣٢٣.
(١٠٨) المقدسي/ محمد بن احمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (ليون ، د.ط ، ١٩٠٩م) ، ص ١١٧.
(١٠٩) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ترجمة: يحي خشاب ، (بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٠م) ، ص ١٤٦.
(١١٠) سعيد الافغاني ، أسواق العرب ، ص ١٧٨.
(١١١) حسين علي المسري ، تجارة العراق ،ص ١٠٤-١٠٦.
(١١٢) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٨.
(١١٣) حسين علي المسري ، تجارة العراق في العصر العباسي ، ص ١٠٨.
(١١٤) حسين علي المسري ، تجارة العراق في العصر العباسي ، ص ١٠٩.
(١١٥) حلوان: وتقع في اخر حدود سواد العراق.
الحموي/ شهاب الدين أبي عبيد الله (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان مج ٢ ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، د.ط ، ١٤١٦هـ) ، ص ١٧٣.
(١١٦) شيخ الربوه/ شمس الدين ابي عبد الله الدمشقي (ت ٧٢٧هـ) ، نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ، (بطرس سبورج: د.م ،ط ١ ، ١٨٦٦م) ، ص ٩٣.
(١١٧) ابن رسته/ أبي علي أحمد بن عمر ، الاعلاق النفيسة ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ) ، ص ١٦٧.
(١١٨) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٦٨.
(١١٩) البردان: اسم لعدة مواضع ، ومنها أنها اسم لقرى بغداد ، معجم البلدان ، ص ٢٩٧.
(١٢٠) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٩٣.
(١٢١) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٩٣.
(١٢٢) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٦.
(١٢٣) عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، (بيروت: د.ن ، ط ٢ ، ١٩٧٤م) ، ص ١٤٢.
(١٢٤) القزويني/ زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار البلاد ، (بيروت: دار صادر ، د.ط ، د.ت) ، ص ٤٦٢.
(١٢٥) شيخ الربوه ، نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ، ص ٩٥.
(١٢٦) آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ، ترجمة: محمد عبد الهادي ،(القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٣ ، ١٣٧٧هـ) ، ص ٣٨٨.
(١٢٧) آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، ص ٣٨٩.

(١٢٨) حسين علي المسري ، تجارة العراق في العصر العباسي ، ص١٧١.
(١٢٩) ابن كثير ، البداية والنهاية مج١ ، ص٢٨.
(١٣٠) اليعقوبي ، تاريخ البلدان ، ص٢٣.
(١٣١) عطية القوصي ،تجارة الخليج بين المد والجزرفي القرنين الثاني والثالث الهجريين نشرة دورية محكمة ،(الكويت:قسم الجغرافيا ،د.ط ، ١٤٠٠هـ)ص٩ .
(١٣٢) حسن إبراهيم حسن ،تاريخ الإسلام ، ص١٢٦.
(١٣٣) حسن إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ١٣٠.
(١٣٤) ابن تغر بردي ،النجوم الزاهرة ج٤ ص٤.

(١٣٥) عبد المقصود عبد الحميد ، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي(مصر والشام والجزيرة العربية) ، (القاهرة:شركة سفير للطبع والنشر ،ط١ ، ١٤٢٧ هـ)ص٢١.
(١٣٦)
(١٣٧) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ج٣ ، ص١٤٢.
(١٣٨) القلقشندي/ أحمد بن عبدالله (ت٨٢١هـ) ، مآثر الانافة ج٢ ، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج ، (الكويت: مطبعة الكويت ، ط٢ ، ١٩٨٥هـ) ص٢٤٩.
(١٣٩) جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، (القاهرة:دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٩٦٥هـ) ص٦٧.
(١٤٠) ابن كثير ، البداية والنهايةمج٦ ،ص ٣٢٠.
(١٤١) المقريزي/ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي العبدي (ت٨٤٥هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج٢ ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ) ، ص٢٠٤.
(١٤٢) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ج٢ ، ص٢٠٥.
(١٤٣) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ج٢ ، ص٢٠٦.
(١٤٤) ابن تغر بردي ، النجوم الزاهرة ج٤ ، ص٤٣.
(١٤٥) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ج٢ ، ص٢١٣.
(١٤٦) المقريزي/ المواعظ والاعتبار ، ص٢١٣.
(١٤٧) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، (القاهرة: دار الفكر العربي ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ) ، ص١٤٤.
(١٤٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص١٧٦.
(١٤٩) الادريسي/ ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ج١ ، (بيروت: عالم الكتاب ، ط١ ، ١٤٠٩هـ) ، ص٣٢٢.
(١٥٠) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٧٧
(١٥١) محمد جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية ، ص٢٥٣.
(١٥٢) محمد جمال الدين سرور ، مرجع سابق ، ص٢٥٤.
(١٥٣) موريس لوسبار ، الإسلام في مجده الأول ، ص٢٥٧.
(١٥٤) جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية ج١ ،(القاهرة: دار المعارف ، د.ط ، د.ت) ص٧٥.
(١٥٥) أرشيد يوسف بن أرشيد ، الحضارة الإسلامية ، (الرياض: مكتبة العبيكان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ) ، ص٤٣٥.
(١٥٦) صبحي عبد المنعم ، تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى عهد الأيوبيين ، (القاهرة: العربي للنشر ، د.ط ، د.ت) ، ص ٢٩٨.
(١٥٧) صبحي عبد المنعم ، تاريخ مصر السياسي والحضاري ،ص ٢٣٣ .
(١٥٨) عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، الأسواق في العصر الفاطمي ، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ، د.ط ، ١٩٩٧م) ص١٨.
(١٥٩) المقريزي ، الخطط والآثار ، ص١٧٢.
(١٦٠) المقريزي ، الخطط والآثار ، ص١٧٣.
(١٦١) المقريزي ، الخطط والآثار ، ص١٧٥.
(١٦٢) المقريزي ، الخطط والاثار ، ص١٨٩.
(١٦٣) عبد المنعم سلطان ، الأسواق في العصر الفاطمي ، ص٣٣.
(١٦٤) عبد المنعم سلطان ، الأسواق في العصر الفاطمي ، ص٣٤.
(١٦٥) عبد المنعم سلطان ، الأسواق في العصر الفاطمي ، ص٣٩.
(١٦٦) صبحي عبد المنعم ، تاريخ مصر السياسي والحضاري ، ص ٢٥٠.
(١٦٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج١ ، ص٤٥٩.

(١٦٨) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص٧٧.
(١٦٩) ابن جبير/ ابو الحسين محمد (ت٦١٤هـ) ، رحلة ابن جبير ،(بيروت: دار الشرق العربي ، د.ط ، د.ت) ، ص٣٥.
(١٧٠) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٥٠.
(١٧١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ج٤ ، ص٤٠٧.
(١٧٢) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص١١٣.
(١٧٣) عطيه القوصي ، تجارة مصر في البحر الحمر ، (القاهرة: دار النهضة العربية ، د.ط ، ١٩٧٦م) ، ص١١٦.
(١٧٤) المرجع السابق ، ص١١٧.
(١٧٥) ادوارد بروي ، تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى ج٣ ، ترجمة: يوسف أسعد داغر ، (بيروت: عويدات للنشر والطباعة ، د.ط ، ٢٠٠٣م) ، ص١٩١.
(١٧٦) عطية القوصي ، تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص ١٢٠.
(١٧٧) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٥٧.
(١٧٨) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٥٩.
(١٧٩) موريس لومبار ، الاسلام في مجده الأول ، ص ٢٧٠.
(١٨٠) القلقشندي/احمد بن علي(ت٨٢١ هـ) ،صبح الاعشى في صناعة الانشمج٣ ،تحقيق:محمد حسين شمس الدين ،(بيروت:دار الكتب العلمية ،د.ط ،د.ت)ص٥٢٩ .
(١٨١) عطية القوصي ،تجارة مصر في البحر الأحمر ،ص ٩١ .
(١٨٢) احمد حطيط ،قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري ،(د.م ،دار الفرات ،ط١ ، ٢٠٠٣)ص١٩٣ .
(١٨٣) عطية القوصي ،تجارة مصر في البحر الأحمر ،ص ١٠٠ .
(١٨٤) بسام العسلي ، صلاح الدين الأيوبي ، (بيروت: دار النفائس ، ط٧ ، ١٤٠٧هـ) ، ص٦٣.

(١٨٥) ابي شامة/عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي(ت٦٦٥ هـ) ،الروضتين في أخبار الدولتين ،(جده:دار الأندلس الخضراء ،ط١ ، ١٤١٨ هـ)ص١٣٧ .
(١٨٦) السيد البار العريني ،الشرق الأدنى في العصور الوسطى(الايوبين) ،(القاهرة:دار النهضة العربية ،د.ط ، ١٣٨٦هـ)ص٧٨.
(١٨٧) السيد الباز العريني ، مصر في عهد الأيوبيين ، (القاهرة: دار النهضة العربية ، ١٩٦٠م) ، ص٧٣
(١٨٨) سعيد عبد الفتاح عاشور ،مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك (بيروت: دار النهضة العربية ، د.ط ، د.ت) ، ص١٤٢.
(١٨٩) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٢٣٣.
(١٩٠) قصي الحسيني ، موسوعة الحضارة العربية (العصر العثماني والمملوكي) ، (بيروت: دار ومكتبة الهلال ، ط١ ، ٢٠٠٤م) ، ص٢٦٣.
(١٩١) عطية القوصي ، تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص١٧٥.
(١٩٢) المقريزي ، الخطط والآثار ج٣ ، ص١٧٨.
(١٩٣) المقريزي ، الخطط والآثار ج٣ ، ص١٧٩.
(١٩٤) ابن واصل/ جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله (ت٦٩٧هـ) ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج٦ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، (بيروت: المكتبة العصرية ، ط١ ، ١٣٢٥هـ) ، ص٨٢.
(١٩٥) ابن تغر بردي ،النجوم الزاهرة ج٦ ،ص٣٢٢.
(١٩٦) العيني/ بدر الدين محمود (ت٨٥٥هـ) ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ج١ ، تحقيق: أحمد محمد أمين ، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب ، د.ط ، ١٤٠٧هـ) ، ص٢٤.
(١٩٧) النويري/ شهاب الدين أحمد (ت٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب مج٢٩ ، تحقيق: نجيب مصطفى فواز ، حكمت عشلي فواز ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٤هـ) ، ص٢٣٥.
(١٩٨) الذهبي/ الحافظ احمد بن احمد (ت٧٤٨هـ) ، العبر في خبر من غبر ج٣ ، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، د.ط ، د.ت) ، ص٢٨٨.

(١٩٩) ابن تغر بردي ، النجوم الزاهرة ج٧، ص٩٤.
(٢٠٠) ابن تغر بردي ، النجوم الزاهرة ج٧، ص١٧٢.
(٢٠١) الجبرتي/ عبد الرحمن بن حسن ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج١ ، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، (القاهرة: دار الكتب المصرية ، د.ط ، ١٩٨٨هـ)، ص٢٨.
(٢٠٢) الجبرتي ، عجائب الآثار ج١ ، ص٣٦.
(٢٠٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكي في مصر والشام ، (القاهرة: دار النهضة العربية ، ط٢ ، ١٩٧٦م)، ص٢٨٩.
(٢٠٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص٢٨٥.
(٢٠٥) قاسم عبده قاسم ، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في عصر سلاطين المماليك ، (القاهرة ،د.ن ،ط٢ ، ١٩٨٣)، ص٣٥.
(٢٠٦) المقريزي ، الخطط والآثار ج٣ ، ص١٧٨.
(٢٠٧) المقريزي ، الخطط والآثار ج٣ ، ص١٨٥.
(٢٠٨) المقريزي ، الخطط والآثار ج٣ ، ص١٨٦.
(٢٠٩) المقريزي ، الخطط والآثار ج٧، ص١٨٧.
(٢١٠) المقريزي ، الخطط والآثار ج٧، ص١٨٩.
(٢١١) قاسم عبده قاسم ، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، ص٣٦.
(212) http://www.islamonline.net/arabic
(213) http://www.islamonline.net/arabic/arts
(214) http://www.albayan.com
(٢١٥) جمال الغيطاني ، ملامح القاهرة في ألف سنة ، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط٢ ، ٢٠٠١م)، ص٧٧.
(٢١٦) ارشيد يوسف بن ارشيد ،الحضارة الإسلامية ،ص٣٩٤ .
(٢١٧) قاسم عبده قاسم ، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، ص٤٥.
(٢١٨) الدويداري/ أبي بكر عبدالله بن ابيك ، كنز الدرر وجامع الغرر الزكية في أخبار الدولة التركية مج٨ ، تحقيق: اولرخ هارمان ،(القاهرة. د.ن ، د.ط ، ١٣٩١هـ)، ص٢٣٢.
(٢١٩) حياة ناصر الجهني ، العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الأسبانية ، (الكويت: مؤسسة الصباح ، ط١ ، ١٩٨٠م)، ص١٨.
(٢٢٠) أنور زقلمة ، المماليك في مصر ص٨٢.
(٢٢١) مفيد الزبدي ، موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر المملوكي)، (عمان: دار أسامة للنشر ، د.ط ، ٢٠٠٣م)، ص١٥٦.
(٢٢٢) مفيد الزيدي ، العصر المملوكي ، ص١٥٧.
(٢٢٣) مفيد الزبدي ، موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر المملوكي)، ص١٥٨.
(٢٢٤) سيدة إسماعيل كاشف ، مصر في فجر الإسلام ، (بيروت: دار الرائد العربي ، ط٢ ، د.ت)، ص٢٩٨.
(٢٢٥) مفيد الزبدي ، العصر المملوكي ، ص١٦٢.
(٢٢٦) مفيد الزبدي ، العصر المملوكي ، ص١٦٥.
(٢٢٧) محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك في مصر والشام ، (بيروت: دار النفائس ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ)، ص٥٢٨.
(٢٢٨) نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب ، د.ط ، ١٩٧٣م) ص٣٩.
(٢٢٩) نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة ، ص٤٠.
(٢٣٠) محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك ، ص٥٣٠.
(٢٣١) نعيم فهمي ، طرق التجارة ، ص٤٦.
(٢٣٢) محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك ، ص٥٣٣.
(٢٣٣) مفيد الزيدي ، العصر المملوكي ، ص١٧٩.
(٢٣٤) توفيق سلطان اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي ، (الموصل: دار الكتاب للطباعة والنشر جامعة الموصل ، د.ط ، ١٣٩٥هـ)، ص٥٠.
(٢٣٥) أحمد حطيط ، قضايا من تاريخ المماليك ،ص٢٠٤.
(٢٣٦) أحمد حطيط ، قضايا من تاريخ المماليك ، ص٢٠٧.
(٢٣٧) توفيق اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر البحرية ، ص٩٣.
(٢٣٨) موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول ، ص٢٥٩.
(٢٣٩) ريموند ، الفنون الإسلامية ، ص١٢٣.
(٢٤٠) ثريا سيد نصر ، زينات احمد طاحون ، تاريخ الأزياء ، (القاهرة: عالم الكتاب ، ط٣ ، ٢٠٠١م)، ص١٤١.
(٢٤١) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص٣٣.
(٢٤٢) آدم منير ، الحضارة الإسلامية ، ص٣١٧.
(٢٤٣) موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول ، ص٢٦٥.
(٢٤٤) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص٣٥.
(٢٤٥) ابن مماتي/ أسعد ابن مماتي (ت٦٠٦هـ)، قوانين الدواوين ، (القاهرة: مكتبة مدبولي ، ط١ ، ١٤١١هـ)، ص٣٢٨.
(٢٤٦) نعيم فهمي ، طرق التجارة ، ص١٩٦.
(٢٤٧) نعيم فهمي ، طرق التجارة ، ص٢٠١.
(٢٤٨) عبد السلام الترمانيني ، الرق ماضيه وحاضرة ، ص٨٥.
(٢٤٩) توفيق سلطان اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر البحرية ، ص٧٣.
(٢٥٠) توفيق اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر ، ص٧٤.
(٢٥١) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص٨٠.
(٢٥٢) سيده إسماعيل كاشف ، مصر في فجر الإسلام ، ص٢٨٩.
(٢٥٣) توفيق اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص٧٧.
(٢٥٤) توفيق اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر في البحر الأحمر ، ص٧٨.
(٢٥٥) نعيم فهمي ، طرق التجارة الدولية ، ص١٢٤.
(٢٥٦) أنور زقلمة ، المماليك في مصر ، ص١١٣.
(٢٥٧) أنور زقلمة ، المصدر السابق ، ص١١٣.
(٢٥٨) عبد الفتاح أبو عليه ، إسماعيل أحمد ياغي ، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ، (الرياض: دار المريخ ، ط٣ ، ١٤١٣هـ)، ص٥٥.
(٢٥٩) عبد الفتاح أبو عليه ، إسماعيل احمد ياغي ، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ، ص٥٩.

الأستاذة ريهام عبد الله المستادي في سطور

باحثة وكاتبة سعودية وصحفية بجريدة المدينة. حصلت على درجة الماجستير بامتياز فرع التاريخ الإسلامي الوسيط من كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة الملك عبد العزيز ٢٠٠٩. عضو جمعية الآثار والتاريخ الخليجية. لها عدد وافر من المقالات والتحقيقات المنشورة بجريدة المدينة. لها عدد وافر من المقالات والدراسات منها: (السيف)، (هل للتاريخ فائدة أم أنه مجرد تنشيط للذاكرة؟) ، (مدفع رمضان:اكتشف بالصدفة وتقاعد بجدة وصمد بمكة) ، (الظاهر بيبرس: لم يعرف جيشه الهزيمة في حرب)، (الظاهر بيبرس واستعادة إمارة أنطاكية)، (رحلة قبائل المغول من التمزق إلى التوحّد).